أصحاب القمصان الملونة فى مصر

١٩٣٣ — ١٩٣٧

للدكتور يونان لبيب رزق
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية البنات — جامعة عين شمس

عرفت الحياة السياسية فى مصر لنحو أربع سنوات ممتدة بين نهاية عام ١٩٣٣ ونهاية عام ١٩٢٧ ظاهرة فريدة تتمثل فى تشكيل جماعات من الشبيبة على أنماط شبه عسكرية هى التى عرفت « بأصحاب القصان الخضراء » التى أسستها جمعية مصر الفتاة ، و « أصحاب القمصان الزرقاء » التى كونها الوفد من بين صفوفه الشابة .

ومصدر التفرد أنه لأول مرة فى تاريخ مصر المعاصر ، وربما لآخر مرة قبل عام ١٩٥٢ ، تتشكل مثل هذه التنظيمات السياسية ذات الصبغة شبه العسكرية على نحو علنى ، حقيقة سعت جماعات سياسية معينة إلى تدريب مجموعات من شبانها عسكرياً خلال الأربعينيات ومطلع الخمسينيات (بالذات الإخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة) ، إلا أن هذا التدريب كما يلاحظ كان يتم فى الغالب بصورة سرية ، أو كان يتم لمهمة محددة بموافقة السلطة كما حدث

بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ حين سمحت الحكومة الوفدية لسائر الجماعات السياسية بتدريب أعضائها لحمل السلاح ضد الوجود البريطانى بعد أن فقد شرعيته على التراب الوطنى المصرى .

وتستلزم محاولة المتابعة التاريخية لهذه التنظيمات السعى أولا للتعرف على المناخ السياسى الذى ظهرت فيه ، والسعى ثانياً لتحديد هويتها .

فيما يتصل بالجانب الأول - المناخ السياسى — فإن ظهور تلك الجماعات السياسية على نحو لم تعرفه مصر فى تاريخها الحديث إنما يتسق إلى حد كبير مع أوضاع الوطن المصرى الداخلية ، ثم مع التغييرات العالمية التى سادت خلال فترة ما بين الحربين .

فى مصر : كانت هناك أكثر من حقيقة تيسر من إمكانية ظهور تلك الجماعات :

١ — هذا الظهور من جانب كان طبيعياً وعهد حكومة صدقى بكل ما أحاط به من سياسات قمع للقوى الشعبية قد بدأت تهتز قوائمه (١٩٣٤) ، وقد صحب هذا الشعور بالاهتزاز سعى من جانب القوى السياسية فى البلاد لاستخدام أسلحة أخرى غير الأسلحة التقليدية التى ظالما اعتادت استخدامها .

القصر : تأكد من فشل سياسة « خلق أحزاب للسراى » وقد صدر هذا التأكيد من فشل تجربة حزب « الاتحاد » خلال العشرينيات ، ومن فشل تجربة حزب « الشعب » خلال الثلاثينيات ، وهى الأحزاب التى دأبت صحف الوفد على تسميتها « بالأحزاب الصناعية[1] » .

من ثم فقد عول الملك على أن يطرح هذه السياسة جانباً وأن يسير قدماً فى سياسة تستهدف استقطاب الشباب المصرى ، وقد تصور أن إمكانية نجاح مثل هذه السياسة الجديدة ميسورة على أساس أن جيلا جديداً من الشبان قد

بدأ يظهر غير ذلك الجيل الذى عاصر ثورة ١٩١٩ وشارك فيها بل وصنعها وترسبت فى وجدانه ، فيها ومنها ، كل مشاعر انولاء للوفد .

والوفد : باعتباره القوة الشعبية الرئيسية فى البلاد رأى زعماؤه بدورهم أن اعتمادهم فحسب على « شعبية عزلاء » جعل بالإمكان وباستمرار ضرب هذه الشعبية وسلبها من أى قيمة بما تأكد تماماً خلال « عهد صدقى » بكل ما تميز به من لا شعبية .

من ناحية أخرى فلا شك أن عمل أعداء الوفد على استبدال وسائلهم القديمة بوسائل تتمثل أساساً فى « تنظيمات الشبان » قد أثار هواجس القيادة الوفدية كما أثار حميتها مما دعاها إلى اصطناع وسائل الآخرين فى استقطاب الشباب فكان تنظيم « القمصان الزرقاء » الذى تشكل من الشبان الوفديين تسجل هذه الحقيقة وثيقة طويلة كتبها ممثل المندوب السامى البريطانى فى القاهرة تروى قصة أصحاب القمصان الزرقاء وجاء فى أولها « إن هذا التنظيم قد تشكل خصيصاً لمواجهة تنظيم القمصان الخضراء وإعادة نفوذ الوفد المتهاوى على الشبان[٢] » .

٢ ــ هذا الظهور من جانب آخر كان طبيعياً والجيل الجديد من الشبيبة المصرية يرى ثورة ١٩١٩ قد أخفقت فى بلوغ أهدافها بإحراز الاستقلال المرجو للوطن . وقد رأى أبناء هذا الجيل أن ذلك الإخفاق قد نتج عن تفتت الجبهة الداخلية وما استتبع هذا التفتت من مناورات مكنت الوجود الاحتلالى البريطانى من الاستمرار .

ومن ثم فقد طرح بعض أبناء هذا الجيل تصوراً مؤداه أن لا سبيل لمواجهة كل الفشل الذى لقيه العمل الوطنى خلال السنوات السابقة إلا بالوحدة الوطنية وأن هذه الوحدة الوطنية يمكن أن تبدأ بالشباب .

يبدو ذلك واضحاً من مجموعة المقالات التى امتلأت بها جريدة «الصرخة»

بعد أن أصبحت لساناً لحال بعض الشباب الذين تسموا باسم مصر الفتاة منذ ٧ أكتوبر عام ١٩٣٣ ، والذين بلوروا أهدافهم ونشروها فى الجريدة المذكورة قبيل نهاية نفس السنة وكان أولها « أن تجمع الشباب فى صعيد واحد[٣] » .

٣ ــ هذا الظهور من جانب ثالث كان يتسق تماماً مع التغيرات السياسية العالمية وتأثير هذه التغييرات الواسع على طبيعة حركة السياسة المصرية ، فبينما شهدت العشرينيات نجاحاً كبيراً أحرزه « أصحاب القمصان السوداء » فى إيطاليا بزحفهم المشهور على روما (١٩٢٢) وتمكينهم للحزب الفاشى الذى ينتمون إليه من الحصول على السلطة ، شهدت الثلاثينيات تنظيمات الشباب النازى فى ألمانيا وهى تعصف بأعداء الحزب وتمكنه فى النهاية من الاستيلاء على السلطة فى بلاده (١٩٣٣) . ويبدو تأثير كل ذلك على استعارة التسمية « بأصحاب القمصان » خضراء أو زرقاء ثم تنظيماتهم .

يؤدى بنا ذلك إلى التساؤل عن « هوية » أولئك الشبان المصريين من أصحاب القمصان .

والملاحظ أن الاتهام « بالفاشية قد حلق فوق رؤوس أصحاب القمصان عموماً إلا أنه كان أكثر تحليقاً فوق رؤوس أصحاب القمصان الخضراء من رجال مصر الفتاة عن أصحاب القمصان الزرقاء من أبناء الوفد .

السبب فى ذلك طبيعة الوفد باعتباره حزباً ليبرالياً يؤمن بالديموقراطية خاصة ووراءه دعم شعبي هائل لا يجعله فى حاجة إلى الوصول إلى السلطة من خلال الأساليب الفاشية ، وتنظيم « القمصان الزرقاء » من هذا المنطلق كانت مهمته فيما تصوره زعماء الوفد وتؤكده الوثائق البريطانية حماية الغالبية الشعبية التى يتمتع بها من أى محاولات دكتاتورية لضربها .

يبقى بعد ذلك اتهام أصحاب القمصان الخضراء بالفاشية ، والملاحظ أن هؤلاء ظلوا منذ الشهور الأولى لتكوين جماعتهم يسعون إلى نفى هذا الاتهام ، فيكتب أحد مؤسسى الجماعة (فتحى رضوان) فى فبراير ١٩٣٤ يقول « الفاشستية على أية حال بضاعة إيطالية ونحن نقاطع البضائع الأجنبية جميعاً بغير استثناء ، إن كل ما بيننا وبين الفاشيست من شبه ، هو هذا القميص ، على أن القمصان عرفت فى التاريخ قبل أن يعرف رئيس وزارة إيطاليا ، والتحية التى نرفع بها أيدينا هى تحية مصرية قديمة قبل أن تكون تحية رومانية . أما الأصول والأسس والقواعد فلسنا نقلد فيها أحداً ولا نقتبسها من هيئة ولا أمة[٤] » .

ينفى الاتهام أيضاً « حافظ محمود » وكان رئيساً لتحرير الصرخة بعد أن أصبحت الناطقة باسم « مصر الفتاة » . . يقول حافظ محمود فى كتاب أشبه بالمذكرات صدر له مؤخراً « إن هذا الحزب — يقصد مصر الفتاة — يهاجم فى تاريخ الأحزاب باعتباره حزباً فاشياً لسبب بسيط هو أن جماعة مصر الفتاة بعقلية شبابية مبكرة كانوا قد اتخذوا لأنفسهم زياً خاصاً وهو القميص الأخضر ، وكانت القمصان الملونة إذ ذاك هى شعار النازية فى ألمانيا الهتلرية وشعار القيصرية فى إيطاليا موسولينى » .

ويستطرد حافظ محمود قائلا « والمقارنة هنا مقارنة ظالمة . . فالفاشيون فى ألمانيا وإيطاليا آنذاك كانوا يحكمون أو يطلبون الحكم . بينما كان حزب مصر الفتاة يطلب التحرير . كل ما هنالك أن هذه الجماعة من الشباب كانوا يتطلعون إلى الجندية فى وقت لم يكن التدريب العسكرى فيه قد ظهر فى معاهد التعليم ، وقاموا هم بهذا التدريب لأنفسهم[٥] » .

لكن وعلى الجانب الآخر فإن هناك ما يدعم وجهة نظر أولئك الذين رأوا فى جماعة مصر الفتاة وتنظيمات القمصان الخضراء جماعة وتنظيمات فاشية .

فإذا كان التطرف فى القومية ركيزة من ركائز الفاشية فإن مصر الفتاة قد تطرفت فى هذا السبيل إلى أقصى حدود التطرف .

فتحت عنوان « المبادىء العشرة لكى تكون جندياً من جنود مصر الفتاة » التى ظلت تنشرها صحيفتهم جاء فى أحدها « لا تشتر إلا من مصرى ، ولا تلبس إلا ما صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعاماً مصرياً » وجاء فى آخر « احتقر كل ما هو أجنبى بكل نفسك وتعصب لقوميتك حتى الجنون » ، وجاء فى ثالث « غايتك أن تصبح مصر فوق الجميع دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام[٦] ».

وتحت عنوان « مفاخرنا . . احفظوها أيها الشباب وآمنوا بها تصبح مصر فوق الجميع » تمتلىء صفحة كاملة من جريدتهم بصفة دورية وتتحدث عن مصر منبع الحكمة وقائدة الإسلام « وهى التى ستصبح فوق الجميع ... رغم أنف الجميع[٧] » .

سبب آخر للاتهام يتصل بطبيعة العلاقة بين مصر الفتاة وبين الأنظمة الفاشية وبالذات النظام الايطالى ، حقيقة ان جماعة أصحاب القمصان الخضراء فى سعيها لنفى الشبهة قد ظلت خلال المرحلة الأولى من تكوينها تهاجم النظامين الإيطالى والألمانى[٨] إلا أن قيادتها أقامت بعد ذلك نوعا من العلاقات مع ممثلى حكومة روما فى القاهرة ، يؤكد هذه الحقيقة التصريح الذى أدلى به النحاس رئيس الوزراء المصرى فى مجلس النواب بجلسته المنعقدة فى ٢٢ يونيه ١٩٣٦ وجاء فيه انه « ثبت لوزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد »[٩]، ويسجل تقرير بريطانى أن تلك الدولة هى ايطاليا وأن النحاس باشا أدلى بتصريحه هذا بناء على معلومات تلقتها الداخلية المصرية عن اتصالات بين الجمعية وممثلى ايطاليا فى مصر[١٠] ويذكر تقرير بريطانى آخر بالنص قبل ذلك

بشهر (٢٢ مايو) « ان السلطات الإيطالية فى مصر تبدى إهتماماً بالجولة المنتظرة من أحمد حسين وأتباعه »[١١] . ولا شك أن تأكيد هذا الإتهام هو الذى دعا إلى الحجر على حرية أحمد حسين وصحبه خلال أغلب سنى الحرب العالمية الثانية بعد ذلك .

من ناحية أخيرة فإذا كان المفكرون الاشتراكيون قد رأوا أن الفاشية فى إيطاليا أو ألمانيا فى جوهرها إنما تمثل إحلال ديكتاتورية سافرة للاحتكارات الكبرى محل الديموقراطية الرأسمالية وهى بذلك تقوى مراكزها مدعومة بكبار الرأسماليين ولا تحقق مطلقا وعودها بحماية « الرجل الصغير » الذى تستخدمه فى الوصول إلى السلطة[١٢] ، وإذا كان رجل مثل الأمير « عباس حليم » فى سعيه لتزعم الحركة العمالية خلال الثلاثينيات إنما كان يمثل سعى البورجوازية المصرية لاحتواء هذه الحركة ، فإن التحالف الذى قام بين « أصحاب القمصان الخضراء » وبين هذا الأمير المعروف بميوله الألمانية[١٣] قد يلقى ظلالا من الشكوك عن أنهم قد حاولوا أن يلعبوا نفس الدور الذى لعبته كل الفاشية والنازية فى المجتمعات الإيطالية والألمانية . ربما لم تلق المحاولة نفس النجاح إلا أن ذلك لا يدعو إلى تبرئة مصر الفتاة بقدر ما يمكن القول أنه نتج عن أن طبيعة تركيب البورجوازية فى مصر كذا قدراتها قد اختلفت عن طبيعة تركيب وقدرات الطبقات مثيلاتها فى كل من إيطاليا وألمانيا مما أصبحت معه سنداً ضعيفاً لحركة كان يمكن أن تعبر عن مصالحها .

ظهور أصحاب القمصان الخضراء :

صدرت أول دعوة لتشكيل جماعة « أصحاب القمصان الخضراء » فى ديسمبر عام ١٩٣٣ فى جريدة الصرخة تحت عنوان « ذو القميص الأخضر أو جنود مصر الفتاة » .

وقد تضمنت تلك الدعوة الأهداف منها وكانت « ان تجمع الشباب فى صعيد واحد ... ان تعودهم على النظام والطاعة .. أن تلبسهم زياً موحداً .. أن تنطقهم بنشيد واحد .. أن تجعل لهم شعاراً واضحا وغاية محدودة .. أن ترسى لهم مثلا أعلى يحاولون الوصول إليه .. أن تملأهم إيمانا بحقهم .. إيمانا بقدرتهم على العمل .. وأن تحملهم على التقشف وبغض اللهو والتخنث والتهتك وأن يعبدوا الله ويفنوا فى سبيل الوطن » .

وتحدثت الدعوة المذكورة أيضا عن طبيعة التنظيم الجديد فذكرت أنه يتشكل من أعضاء ومجاهدين وأن « العضوية » حق لكل مصرى يرغب فى تحقيق مبادىء مصر الفتاة ، أما من يصل إلى مرتبة « المجاهد » فهو « الشاب الذى قدم البرهان على أنه يعمل من أجل ربه ووطنه ومليكه » .

وبعد ذلك بأسبوع تزيد (الصرخة) المسألة إيضاحا فتتحدث عن الزى الخاص للمجاهدين وأنه يتكون من « قميص أخضر مصرى وبنطلون من القماش المصرى وحزام من الجلد المصرى » ، ثم تتحدث عن الهيكل التنظيمى العام للجماعة وتسجل أنه يتشكل من ٦ درجات : « القسم » الذى يضم ١٢ مجاهدا ، « والكتيبة » التى تتكون من أربعة أقسام ، و « الفرقة » التى تتشكل من أربع كتائب ، ثم « اللواء » الذى يضم أربع فرق ، و« الفيلق » الذى يتكون من أربعة ألوية ، وأخيراً « هيئة أركان الجهاد » التى تتكون من رؤساء الفيالق[١٤] .

خلال نفس الشهر — يناير ١٩٣٤ — يرفع ممثل المندوب السامى البريطانى فى القاهرة « المستر ينكن » مذكرة مستفيضة إلى وزارة خارجيته تضمنت مجموعة من الإيضاحات لم تتضمنها صحف مصر الفتاة .

أول هذه الإيضاحات ، فيما ارتأته دار المندوب السامى ، ان زعامة الجماعة الجديدة تتألف من مجموعة من صغار الشبان المتخرجين حديثاً من

كلية الحقوق وعلى رأسهم فتحى رضوان وأحمد حسين المرتبطين ارتباطا قويا بكل من الحزب الوطنى وجمعية الشبان المسلمين التى كان يرأسها وقتذاك « عبد الحميد السيد » النائب الوطنى .

إيضاح آخر تضمنته مذكرة المستر ينكن وهو أن جماعة الشبان هذه قد استمدت معظم أفكارها من مقالة كتبها « محمد على علوبة باشا » أحد رجال الأحرار الدستوريين رأى فيه أن أغلب متاعب مصر ناتجة عن الاحتلال البريطانى وأعلن أن مبدأه الأساسى هو إجلاء البريطانيين عن مصر وعن قناة السويس والسودان وإلغاء الإمتيازات وعدم تجديد إمتياز قناة السويس والتوقف عن استخدام أسلوب المفاوضات طالما أنه لم يحقق الآمال الوطنية(١٥) .

ويبدو أن هذا الانطباع البريطانى كان انطباعا صحيحا مما يتأكد من توثيق العلاقات بعد ذلك بين علوبة باشا وبين الجماعة الجديدة والذى بدا فى اشتراك الرجل فى افتتاح الدار الجديدة للجماعة فى نفس السنة ثم فى اشتراكه فى الدفاع عن زعمائها أمام القضاء بتهمة التحريض ضد دولة أجنبية مما ترتب عليه الافراج عنهم(١٦) .

يثير هذا قضية هامة تتصل بعلاقة « أصحاب القمصان الخضراء » أو زعامات جمعية « مصر الفتاة » بالتنظيمات السياسية القديمة ، فمع ما تمت الاشارة إليه من علاقات مع « الحزب الوطنى » ، ثم مع أحد رجالات الأحرار الدستوريين البارزين ، بالاضافة إلى ما عرف بعد ذلك من علاقة مع على ماهر الزعيم السياسى الموالى للقصر ، كل ذلك بلا شك أدى إلى نتيجتين أضعفتا الجماعة خلال الثلاثينيات ، وربما بعد ذلك :

النتيجة الأولى : انها أجبرت الجماعة على مواجهة تؤكد كافة الدلائل أنها كانت فى غير صالحها .. تلك هى مواجهتها مع الحزب الشعبى الكبير «الوفد»

الذى تشكك فى طبيعة علاقاتهم وتصورهم أدوات فى أيدى أعدائه الساعين إلى تدمير نفوذه عما نتج عنه أن ناصبهم العداء ، وسعى إلى تعقبهم وضربهم.. وقد نجح فى ذلك .

النتيجة الثانية : أنه قد تبع الاحساس بين شرائح اجتماعية مصرية معينة بطبيعة تلك العلاقات العزوف عن الانضمام للجماعة أو تشجيعها عما فقدت معه أرضا كان يمكن أن تكسبها .

الايضاح الثالث : الذى قدمته المذكرة البريطانية يبدو فى شعور قوى من جانب السياسيين البريطانيين فى القاهرة بالمخاوف من الجماعة الجديدة والتى يصفها ممثل المندوب السامى فى مطلع تلك المذكرة بأنها « تنظيم فاشى معادى للأجانب وذو صبغة وطنية متطرفة » ثم يسجل بالتفصيل «الخطاب المفتوح» الذى وجهه أحد أعداد « الصرخة » إلى المنـــدوب السامى والذى امتلأ بالعبارات القاسية أو ما تصور المستر ينسكن أنها عبارات قاسية[١٧] .

وهكذا ظهر فى ميدان السياسة المصرية « أصحاب القمصان الخضراء » وجمعيتهم وقد جذبا مع ظهورهما اهتمامات كافة المشتغلين بالعمل السياسى فى البلاد ..

دار المندوب السامى التى أبدت تخوفها من انبعاث روح المقاومة المتجددة بين جيل الشبان الجديد .

بعض الجماعات السياسية القديمة التى رأت أن احتضان الحركة الجديدة قد يمكنها من استعادة شبابها ، ولا شك أن الحزب الوطنى كان أكثر هذه الجماعات اهتماماً بما دعا صحيفة مثل « الليبرتيه » التى كانت تعبر عن سياسة القصر إلى أن تنشر فى أبريل ١٩٣٤ « كاريكاتيرا » تضع فيه حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى وأصحاب القمصان الخضراء فى سلة واحدة ، وبما دعا

السير مايلز لامبسون إلى أن يكتب فى نفس الوقت تقريبا أنه « إذا كانت هناك أى قوة سياسية وراء جماعة مصر الفتاة فلن تكون هذه القوة سوى الحزب الوطنى[١٨] .

ثم (القصر) الذى تنبه إلى قيمة الجماعة الجديدة فحاول بدوره أن يتبناها وتتحدث الوثائق البريطانية فى البداية عن العلاقة بين الملك فؤاد وبين مصر الفتاة بتشكك ، وتقيم شكوكها على أساسين : أولهما : العلاقة الخاصة بين الملك وبين الحزب الوطنى ، وثانيهما تأثر برنامج أصحاب القمصان الخضراء بالاتجاه العربى الاسلامى وهو الاتجاه الذى دافع عنه بل واحتضنه القصر فى أغلب الأوقات[١٩] .

ولا تلبث الشكوك أن تتحول بعد ذلك إلى تأكيدات نتيجة لموقف القصر المدافع عن صحف الجماعة ، فقد تدخل مراد باشا محسن ناظر الخاصة الملكية فى أبريل ١٩٣٥ مؤنبا الموظفين المسئولين عن مصادرة أحد أعداد الصرخة بما دعا المندوب السامى فى القاهرة إلى أن يكتب بأن « هذه الجمعية تنال عونا خاصا من القصر وهى مسألة كانت محل اشتباه منـــذ وقت طويل »[٢٠] .

يبقى بعد ذلك الحزب الشعبى الكبير « الوفد » والذى أزعجه بلا شك محاولات استقطاب الشباب من جانب القوى السياسية المنافسة ، وكان من الطبيعى أن يبادر إلى التحرك فى مواجهة تلك المحاولات ، وقد تمخض هذا التحرك عن ظهور الجماعة الثانية من أصحاب القمصان .

ظهور أصحاب القمصان الزرقاء :

كان الوفد صاحب خطوة المبادأة فى ميدان التنظيمات الشبابية خلال الثلاثينيات ، ذلك أنه منذ منتصف يوليو عام ١٩٣٣ بدأت الزعامات

الوفدية فى تشكيل « لجان الشباب الوفدى » فى المدن والمديريات وقد أخذ النقراشى باشا على عاتقه تنظيم تلك اللجان لما عرف عنه من قدرة تنظيمية فائقة يدعمه فى ذلك ما تضمنته أغلب بيانات النحاس باشا آنذاك من دعوة الشبان للجهاد من أجل القضية الوطنية وحزب الأغلبية(٢١) .

ولكن ، وعلى ما يبدو ، فإن ذلك النشاط الوفدى بين صفوف الشباب قد ارتبط إلى حد بعيد بالمقاومة الوطنية لعهد صدقى ، وكان بالتالى سلاحاً من أسلحة تلك المقاومة . يؤكد ذلك الجهود التى بذلتها أجهزة الحكم فى منع تشكيل هذه اللجان وإن كانت تعترف بعدم جدوى تلك الجهود(٢٢) .

وبسبب ذلك الارتباط فقد توقف نشاط الوفد فى هذا الميدان مع بشائر سقوط عهد الوزارة الصدقية ثم وزارة خلفه عبد الفتاح يحيى فى نوفمبر ١٩٣٤

ويعود اهتمام الوفد مرة أخرى بتنظيمات الشباب فى أواخر عهد وزارة توفيق نسيم (نوفمبر ١٩٣٤ — يناير ١٩٣٦) وذلك نتيجة لما تمت الإشارة إليه من ظهور أصحاب القمصان الخضراء وارتباطاتهم اللاوفدية ، وتشير التقارير الرسمية إلى ظهور مجموعات أخرى من الشبان من غير المنتمين للوفد، فقد جاء فى أحد التقارير الصادرة عن الإدارة الأوربية بوزارة الداخلية بأن عهد الوزارة النسيمية قد شهد ظهور جماعة قوية من الطلاب فى الجامعة بزعامة نور الدين طراف تتلقى تعليماتها من الأحرار الدستوريين وتهتم بها سائر الجماعات غير الوفدية مثل الحزب الوطنى والقصر وعباس حليم وغيرهم ، ويستطرد التقرير المذكور أن تلك الجماعة كانت تزداد قوة يوماً بعد يوم وأنها قد حصلت على كمية من الأسلحة النارية(٢٣) .

فى مواجهة ذلك حاول الوفد فى البداية أن يمنع استمرار مثل هذه التنظيمات ، ونجح النحاس فى حث رئيس الوزراء « نسيم باشا » على إصدار قانون بهذا المنع ، وتم بالفعل إعداد مشروع القانون المذكور إلا أن

عبد الحميد بدوى باشا رئيس قلم قضايا الحكومة وقتذاك قد اعترض عليه فلم يقدر له الصدور(٢٤) .

ولم يكن أمام زعامة الوفد بعد ذلك سوى العمل على « فل الحديد بالحديد» كما يقال ، ومن ثم فقد قررت إنشاء تنظيم على نسق القمصان الخضراء من الشبيبة الوفدية فكان ظهور أصحاب القمصان الزرقاء .

وقد أوكل لكل من مكرم عبيد سكرتير الوفد وزهير صبرى تنظيم الجماعة الجديدة ، وتم اختيار « محمد بلال » الذى كان طالباً بكلية الصيدلة رئيساً لتلك الجماعة ، وكلف بعض ضباط الجيش المتقاعدين بتدريب أعضائها .

وينبغى فى هذا الصدد تسجيل ملاحظتين تتصلان بنشأة « أصحاب القمصان الزرقاء » .

أولاهما : النمو السريع لتلك الجماعة وهو نمو طبيعى بحكم اتصالها العضوى بالوفد ، ويذكر تقرير الادارة الأوربية بوزارة الداخلية الذى أشرنا إليه بأنه فى غضون أسابيع قليلة فاق عدد أصحاب القمصان الزرقاء عدد أصحاب القمصان الخضراء ويسوق تقديرا لعددهم وقد بلغ أكثر من ثمانية آلاف منهم ألفان فى القاهرة وأكثر من خمسمائة فى الاسكندرية وفيما يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف فى الأقاليم .

من ناحية أخرى فان هذا النمو لم يقتصر على جموع المنتمين وإنما امتد ليشمل رقعة واسعة من بقاع الوطن المصرى . . فى القاهرة والاسكندرية ومديريات الشرقية والغربية والبحيرة والمنوفية والمنيـــا وأسيوط وقنا بالإضافة إلى محافظة قناة السويس(٢٥) .

ثانيتهما : ان ظاهرة الانقسام إلى أجنحة التى عرفها الوفد على امتداد تاريخه قد عانى منها بدوره تنظيم أصحاب القمصان الزرقاء خاصة بمجموعات هذا التنظيم الموجودة فى المدن ، وبالذات فى القاهرة والاسكندرية .

مجموعة القاهرة انقسمت إلى جناحين : أولهما برئاسة « زهير صبرى » ويتشكل تماما من الطلاب إلا أن مجموع أعضائه لم يتجاوز المائتين، أما الجناح الثانى فيتزعمه « محمد بلال » ويضم بقية أصحاب القمصان الزرقاء فى القاهرة (١٨٠٠ عضو) ، بالاضافة إلى الطلاب فقد كان هذا الجناح الأخير يتشكل من « العاطلين والغوغاء وقلة من الحرفيين وعدد من العمال » وقد قدرت أجهزة الشرطة نسبة هؤلاء إلى مجموع الأعضاء بـ ٨٥٪ .

نفس الظاهرة عانت منها مجموعة الاسكندرية ، وكان يتزعم جناحها الأول « البرت برسوم » وهو محام وفدى ، وقد تم تقدير المنضوين تحت لواء هذا الجناح بـ ٣٥٠ شاباً ، أما جناحها الثانى فقد كان برأسه محامى وفدى آخر هو « على الحلوانى » وإن كان عدد أعضائه لم يتجاوز المائة والخمسين شاباً . وقد ارتدى أعضاء جناح برسوم جوارب بنية تميزا لهم عن أعضاء جناح الحلوانى الذين كانوا يرتدون جوارب خاكية[٢٦] .

وكما لعبت هذه الظاهرة دوراً سلبياً فى تاريخ الوفد فقد لعبت نفس الدور فى تاريخ تنظيمه الشبابى ممثلا فى « أصحاب القمصان الزرقاء » إذ بلغت الحدة فى العلاقات بين أجنحة التنظيم فى القاهرة إلى درجة العراك المسلح ، ففى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٣٦ وبينما كان أعضاء مجموعة زهير صبرى يقومون ببعض التدريبات هاجمهم حوالى ١٥٠ من جماعة محمد بلال وحطموا معسكرهم وقبضوا على ستة منهم عادوا بهم إلى معسكرهم الخاص ، وقد استخدمت فى هذا العراك العصى والسكاكين ، كما سمعت بعض طلقات فى الهواء[٢٧] .

على أى الأحوال ومع هذه الملاحظات بإيجابياتها وسلبياتها فإن ظهور « أصحاب القمصان الزرقاء » بعد « أصحاب القمصان الخضراء » قد استتبعه

مرحلة من الصراع بين هذه المجموعات أو حولها مما يشكل فصلا طريفاً من التاريخ السياسى المصرى .

جماعات القمصان الملونة والصراع السياسى فى مصر :

يمكن التمييز بين مرحلتين من مراحل الصراع السياسى التى نتجت عن ظهور جماعات القمصان الملونة فى مصر .

المرحلة الأولى وتمتد بين ظهور هذه الجماعات وحتى النصف الثانى من عام ١٩٣٦ وكانت فى الأساس صراعاً بين هذه الجماعات بالأحرى (بين) أصحاب القمصان الخضراء والقوى التى تساندهم وأصحاب القمصان الزرقاء ممثلين للوفد .

المرحلة الثانية تمتد من بعد ذلك حتى نهاية ١٩٣٧ حين تمت إقالةوزارة النحاس فى ٣٠ ديسمبر من تلك السنة ، وكان الصراع خلالها (حول) هذه الجماعات لا بينها .

ومن دواعى الغرابة أن عاملا واحداً هو الذى تحكم فى المرحلتين وهو الذى أدى فى نفس الوقت إلى التمييز بينهما ، تمثل هذا العامل فى السياسة البريطانية الرامية إلى استمرار نوع من التوازن بين القوى السياسية فى البلاد ، وبالذات القصر من ناحية والقوى الشعبية يمثلها الوفد من ناحية أخرى .

فى خلال المرحلة الأولى كان القصر يملك السلطة من خلال الوزارات التى اصطنعها بينما كان الوفد يملك الشعبية مما وفر جو التوازن المطلوب ، وظهور تنظيمات الشباب إلى جانب هذه القوة السياسية أو تلك إنما كان يضيف مزيداً من أسباب ذلك التوازن ، ومن ثم فقد كان هذا الظهور مقبولا إذا لم يكن مطلوبا (!) .

وتأتى المرحلة الثانية والوفد خلالها فى السلطة بعد أن شكل النحاس وزارته الثالثة فى مايو ١٩٣٦ ، ولا شك أن السلطة مضافا إليها السند الشعبى مضافا إليهما تنظيم شبه عسكرى قد أخل على نحو واضح بطبيعة التوازن لا سيما إذا ما لوحظ أنه على الطرف الآخر كان القصر مهيض الجناح بعد وفاة الملك فؤاد وقد خلف وراءه صبياً صغيراً على العرش لايتمكن من مناوأة الوفد وهو خارج السلطة فما الحال وهو يمتلك أزمتها .

ولم يكن أمام السياسة البريطانية والأمر كذلك إلا أن تسعى إلى قص أجنحة الوفد التى طالت أكثر من اللازم وهددت الاستقرار التقليدى للأوضاع السياسية فى البلاد وكانت أهم هذه الأجنحة « تنظيمات القمصان الزرقاء» وسعياً وراء تحقيق ذلك الهدف من جانب دار المندوب السامى فقد قام صراع مرير حول هذه الجماعة شارك فيه القصر وانتهى أخيراً بإخراج الوفد من السلطة وبمنع كل تلك التنظيمات شبه العسكرية .

يبقى بعد ذلك تفصيل الحديث عن كل مرحلة من هاتين المرحلتين على حدة .

أولا : مرحلة الصراع (بين) أصحاب القمصان الملونة ١٩٣٣ - ١٩٣٦

اتسم موقف الوفد بالعداء « للقمصان الخضراء » منذ الأيام الأولى لقيامها ، وقد اتخذ هذا العداء أكثر من مظهر :

(أ) السعى إلى إفساد اجتماعات مصر الفتاة ، ففى خلال شهر ديسمبر عام ١٩٣٣ قام بعض الشبان الوفديين بالهتاف للنحاس أثناء محاضرة كان يلقيها فتحى رضوان فى دار جمعية الشبان المسلمين مما أدى إلى اشتباكات بالأيدى بين الطرفين وتحطيم بعض محتويات ونوافذ الدار ، ولم تتوقف هذه الاشتباكات إلا بعد حضور الشرطة[٢٨] .

(٢) العمل على إضعاف « وجود الخضر » فى مشروع القرش ، ذلك أنه منذ عام ١٩٣٢ قامت حملة ناجحة من الشوارع لجمع رأس المـــال اللازم لتأسيس صناعات محلية وذلك تحت رعاية الدكتور على إبراهيم الجراح المشهور ومدير الجامعة بالنيابة وقتذاك ، وقد أمكن بالفعل جمع مبلغ كافى لإقامة مصنع للطرابيش .

ولما كان مجلس إدارة المصنع قد امتلأ بالعمال من رجال مصر الفتاة فقد كان من الطبيعى أن يزعج ذلك الوفد الذى بادر إلى العمل فأجبر أحمد حسين أولا على الاستقالة من سكرتارية المشروع(٢٩) .

تبع ذلك أن فجر الأعضاء الوفديون فى اللجنة التنفيذية للمشروع أزمة استهدفوا من ورائها التخلص من بقية « الوجود الأخضر » فيها ، ففى بيان صادر للرأى العام وقعه عضوان(٣٠) من هؤلاء جاء أنه قد ظهر على مسرح رمسيس فى اجتماع عقد فى ١٩٢٣/١٢/١٥ لمتطوعى القرش سكرتير اللجنة التنفيذية وإلى جانبه شرذمة من أعضائها يرتدون قمصانا « خضراء » فثار الشباب لمرآهم وهتف ضدهم .

ويستطرد البيان بأن مندوبى الجامعة والمدارس العليا والثانوية قد اجتمعوا فى ٧ يناير ١٩٣٤ بنادى الجامعة المصرية وأصدروا بيانا ضد سيطرة القمصان الخضر على مشروع القرش فما كان من مجلس إدارة المشروع إلا أن فصل العضوين المذكورين اللذين ردا على ذلك بدعوة المتطوعين للمشروع إلى الاجتماع بنادى الجامعة(٣١) .

أدى تطور الأمور على هـذا النحو إلى إصدار بعض أعضاء اللجنة التنفيذية للمشروع لبيان يتبرأون فيه من القمصان الخضراء ومصر الفتاة(٣٢) كان من هؤلاء « محمد صبيح » الذى كان يرتدى القميص الأخضر فى الاجتماع الذى أثار الوفديين إلا أن آخرين من أعضاء اللجنة التنفيذية

رفضوا التوقيع على هذا البيان مثل نور الدين طراف بما زاد فى شكوك الأعضاء الوفديين باللجنة(٣٣) .

اجتمع هؤلاء الأعضاء فى نادى الجامعة دون أن يلقوا بالا للبيان السابق وأصدروا مجموعة من القرارات هى :

« ١ — سحب الثقة من اللجنة التنفيذية بكامل هيئتها الحالية .

« ٢ — عدم الاعتراف بمجلس الإدارة الحالى بكامل هيئته لتحيزه لأولئك النفر المغرضين الذين يعبثون بتوجيه المشروع ويتخذونه وسيلة للدعاية السياسية .

« ٣ — تكوين لجنة من مندوبى الجامعة والمدارس العليا والثانوية مهمتها الدعاية ضد المشروع صراحة هذا العام حتى يتطهر من ذلك النفر المتصل بهيئة سياسية مخالفاً فى ذلك قانون جمعية القرش »(٣٤) .

فى نفس الوقت كتب « طه حسين » فى جريدة « كوكب الشرق » الوفدية يدعو على باشا إبراهيم إلى الاستقالة من رئاسة المشروع والتفرغ لأعماله الرسمية فحسب .(٣٥) .

تعددت بعد ذلك أشكال المقاومة من شباب الوفد ضد المشروع سواء بالتظاهر أو بالدعوة لمقاطعة المشروع أو غيرها من أشكال المقاومة .

ويمكن القول أن الوفد قد كسب تلك الجولة الأولى من جولاته ضد القمصان الخضر مما سجله تقرير بريطانى فى أبريل ١٩٣٤ بقوله « لقد ترتب على تدخل الوفد فى عمليات الجمع لمشروع القرش أن انخفض ما أمكن جمعه خلال هذا العام إلى الربع بالنسبة لما تم جمعه خلال العام الماضى »(٣٦) .

* * *

تبدأ (الجولة الثانية) بين الوفد وأصحاب القمصان الخضراء فى أعقاب انهيار عهد صدقى باستقالة وزارة عبد الفتاح يحيى فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ .

ويمكن النظر إلى الصراع بين الطرفين أثناء تلك الجولة فى إطار الصراع بين القصر والوفد ، ذلك أن الزعامة الوفدية قد رأت أن القصر وقد فشل فى فرض أتوقراطيته من خلال عهد صدقى وحزبه فإنه يسعى إلى استبدال هذا العهد وذلك الحزب بالشبان من أصحاب القمصان الخضراء .

عبر عن ذلك عباس العقاد فى مقال له بصحيفة الجهاد الوفدية فى أعقاب استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى قال العقاد : « إن الأباراشى باشا (القصر) قد أخذ فى استدراج العناصر المتطرفة من الشباب لشعوره بمساس من الحاجة إلى جماعة أخرى تفعل مالم تفعله جماعة صدقى وتتوسل بالتطرف المكذوب إلى اجتذاب الشبان المخلصين الراغبين حقا فى خدمة الوطن والسعى الحثيث إلى خلاصه ، ولهذا ظهرت هذه الجماعة الملفقة (يقصد مصر الفتاة) وظهرت لها صحيفة أسبوعية تصدر فى كل أسبوع (يقصد الصرخة) ولا تنقطع عن الظهور مع كسادها واعراض الناس عنها وكثرة النفقات التى يستدعيها طبع الصحيفة وتحريرها وإدارتها ليس فى الوسع أن تسند هذه الجماعة إلى أناس بارزين مسئولين فلا بأس إذن باسنادها إلى أفراد من أصحاب الحركات البهلوانية الذين راحوا يعولون ويصخبون ويحتدمون بالحماسة المصطنعة على حين غرة كأنما مسهم جنون الوطنية «شيطانيا» ما بين عشية وضحاها ، وخيل إلى هؤلاء البهلوانات أنهم يكسبون الثقة المنشودة بالمخاطر السطحية التى لم تصبهم قط بأضرار حقيقية ولم ينلهم من جرائها شىء مما ينال الخصوم الحقيقيين ولو أنهم أصيبوا بأعظم الأخطار لما كانت هذه المصائب الموقوتة إلا ثمنا رخيصا جدا فى جانب المنافع المنظورة والطاب الجسيم الذى يطلبونه

لمن يسخرونهم ويدفعون بهم إلى الميدان و نعنى به مطلب السيطرة على عقول الشبان المخلصين »[٣٧] .

وكأنما كان « أصحاب القمصان الخضراء » عزوفين عن أن يدخلوا فى مواجهة جديدة ضد الوفد بعد الخيبة التى أصيبوا بها فى الجولة السابقة ، لعل ذلك ما دعا « الصرخة » إلى أن ترد قائلة « أنها تعلم أن الوفد لا يسأل عن هذا الهذر كله » ، وان كان ذلك لم يمنع فتحى رضوان أن ينقد كاتب الهجوم الوفدى بعنف فى مقال تحت عنوان « عباس أفندى يكشف حقائق هائلة — مثل من أمثلة الذكاء والعبقرية »[٣٨] .

ولكن كانت الأمور تجرى على نحو مضاد تماما لأى مهادنة بين الطرفين مما اضطر الوفد معه فى نهاية تلك الجولة التى استغرقت أغلب عهد وزارة توفيق نسيم الثالثة (١٤ نوفمبر ٣٤ — ٣٠ يناير ٣٦) إلى تشكيل جماعته من أصحاب القمصان المعروفة « بأصحاب القمصان الزرقاء » .

يبدو جريان الأمور المعاكس للتقارب بين الطرفين فى الحقائق الآتية :

١ — تحول الشكوك عن طبيعـــة العلاقات بين القصر « وأصحاب القمصان الخضراء » إلى يقين وذلك نتيجة للمواقف المتعاطفة من جانب رجال السراى خاصة ما اتصل منها بمصادرة صحفهم[٣٩] .

٢ — توثق العلاقات بين أصحاب القمصان الخضراء والشخصيات المعادية للوفد ، ويسجل أحد التقارير البريطانية قيام علاقات وثيقة بين مصر الفتاة وعباس حليم « نتيجة للصدام الذى وقع بين النبيل والوفد[٤٠] » ، كما يسجل تقرير آخر أن العلاقة بين عباس حليم ومصر الفتاة تزداد توثقا مع الأيام ، ويلاحظ نفس التقرير ان رجال مصر الفتاة أمثال أحمد حسين

وفتحى رضوان وكمال الدين صلاح يتولون الدفاع فى بعض القضايا المتهم فيها بعض أعضاء اتحاد عمال عباس حليم(٤١) .

٣ ـ زيادة حدة الاتجاه الإسلامى لأصحاب القمصان الخضراء وهو الاتجاه الذى كان يرفضه الوفد خلال تلك المرحلة على اعتبار أن الهدف النهائى منه تدعيم أوتوقراطية القصر .

بدا ذلك من زيارة الحج التى قام بها أحمد حسين إلى الحجاز خلال الربع الأول من عام ١٩٣٥ . وقد نجح خلال هذه الزيارة فى عقد اجتماع مع الملك ابن السعود نال خلاله تشجيعا ماديا ومعنويا من الحاكم السعودى ، كما تمكن فى نفس الوقت من عقد عدد من اللقاءات مع بعض الوطنيين المنطرفين ـ على حد تعبير المندوب السامى البريطانى بالقاهرة ـ من أبناء الهند وجاوة وفلسطين ومراكش والعراق ، وقد تعهد الجميع بالسعى لتفجير الثورة ضد الاستعمار فى العالم الإسلامى .

(٤) كثافة نشاط أصحاب القمصان الخضراء بين قطاعات معينة من القطاعات المؤثرة فى ميدان العمل السياسى فى البلاد ، ففى أبريل عام ١٩٣٥ صدرت التعليمات إلى عدد من أعضاء مصر الفتاة بالإنتشار فى الريف وبث الدعوة للجمعية بين صفوف طلبة الأزهر الذين كانوا قد عادوا إلى قراهم فى عطلة آنذاك(٤٢) .

خلال الشهر التالى (مايو) تواترت الأخبار عن محاولات لأصحاب القمصان الخضراء لاغراء عدد من صغار الضباط فى الجيش المصرى على الانضمام إليهم(٤٤) .

فى نفس الشهر قام أعضاء الجمعية فى كل من طنطا والمنصورة بنشر دعاية واسعة لمصر الفتاة فى المدينتين إلى حد دعا أحد عملاء البريطانيين فى الوجه البحرى إلى توقع أحداث جسيمة نتيجة لذلك النشاط(٤٥) .

وقد ترتب على كل تلك الحقائق نتيجتان :

أولاهما : تخلى أصحاب القمصان الخضراء عن حذر طالما التزموا به فى المواجهة مع الوفد ، ولا تأتى هذه الجولة إلى نهايتها الا ويكونون قد أخذوا فى شن هجوم مكشوف على الزعامة الوفدية بدأ فيما اقتبسته « الصرخة » من مقتطفات من خطاب النحاس فى « المؤتمر الوفدى » تنصح باعتدال ومهادنة الانجليز مثل الحديث عن « صون مصالح الانجليز التى لاتتعارض مع « الاستقلال » ، ومثل الإعراب عن الأمل بأن يكون « عهد فخامة المندوب السامى عهد تفاهم صحيح بين البلدين » ، وعلى الجانب الآخر من نفس الصفحة تسوق جريدة أصحاب القمصان الخضراء مقتطفات من خطاب ألقاه « أحمد حسين» فى ذات الوقت تقريبا فى حفل افتتاح المبنى الجديد لجمعية مصر الفتاة فى العتبة والذى يفيض بالتشدد وينتهى بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ... »(٤٦) .

ثانيتهما : ان الوفد بعد أن وضع كل الحقائق السابقة تحت ناظريه اتخذ قراراً بإنشاء « تنظيم أصحاب القمصان الزرقاء » ليتخذ الصراع بين الطرفين صورة أكثر حدة فى جولة جديدة .

* * *

يمكن تحديد (الجولة الثالثة) من جولات الصراع بين أصحاب القمصان الملونة الخضراء والزرقاء بعهد وزارة على ماهر الأولى (٣٠ يناير — ٩ مايو ١٩٣٦) .

وقد تراكمت مجموعة من الأسباب جعلت صراع هذه الجولة يأخذ شكلا أكثر حدة من صراع الجولات السابقة .

١ — فقد تشكلت الوزارة الجديدة بعد اضطرابات الطلاب المشهورة والتى أدت أخيراً إلى تكون الجبهة الوطنية التى قدمت عريضة ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ إلى الملك فؤاد بإعادة دستور ٢٣ والتى تم الاستجابة إليها فى نفس

اليوم ، كذا قدمت كتابا إلى المندوب السامى بطلب فتح باب المفاوضات والذى كان نقطة البدء نحو مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ .

ولا شك أن كل هذه النتائج التى ترتبت على الأحداث الطلابية ، قبل أى اعتبار ، قد أعقبها صراع حول اكتساب مزيد من الشباب لكل جانب من الجوانب المتنافسة ، كما صحبها تصاعد الاهتمام بالتنظيمات التى تجمع هؤلاء ... تنظيمات القمصان الملونة .

انعكست هذه النتائج أيضاً على الشباب والتنظيمات التى انضووا تحت لوائها مما صبغ علاقاتهم ببعض مظاهر العنف وهو ما لم يكن ظاهراً بدرجة كافية خلال الجولة السابقة .

٢ — بالرغم من أن على ماهر قد ألف وزارته الأولى بهدف محدد هو تهيئة الفرصة لإجراء انتخابات تتولى الحكم على أثرها وزارة الأغلبية إلا أنه من الواضح أن رئيس الوزراء الجديد كان يريد أن يكسب شيئاً .

يسجل الدكتور محمد حسين هيكل هذه الحقيقة فى مذكراته فيقول « ظن الناس فى مصر أن هذه الوزارة الجديدة وزارة انتخابات فقط ، وأنها لن تتناول من الأمور السياسية شيئاً ذا بال . لكن على ماهر باشا لم يلبث حين اطمأن إليه الأمر ، وعلى الرغم من أن وزارته لم تكن لتبقى فى الحكم أكثر من ثلاثة أشهر تظهر فى ختامها نتيجة الانتخابات ، أن فكر فى التمهيد لإصلاحات داخلية ، وفى معالجة مشاكل خارجية طال الأمد على بعضها وهى معلقة لا تجد حلا »(٤٧) .

وحتى يقوم « على ماهر » بذلك الدور الذى تاق إليه فقد تحتم عليه أن يدخل طرفاً فى لعبة الصراع السياسى ، ويدل عدد كبير من الشواهد على أنه قد قرر استقطاب جماعة القمصان الخضراء وأنه قد نجح فى ذلك .

أول هذه الشواهد جاء فى خطبة ألقاها فتحى رضوان فى ٥ فبراير ١٩٣٦ أعرب فيها عن رضاء مصر الفتاة عن وزارة على ماهر الجديدة ، وهو رضاء قلما نالته وزارة من تلك الجماعة ، كما أعرب أيضاً عن اقتناعه أن أعضاء هذه الوزارة يعملون للصالح الوطنى وطالب جمهور المستمعين عدم الاشتراك فى أى اضطرابات تثير المتاعب للوزارة .

شاهد آخر ما وصل من تقارير إلى وزارة الداخلية عن مبالغ كبيرة يصرفها أحمد حسين لشراء أثاث لمقر الجمعية ، وقد رأت مصادر دار المندوب السامى أن تلك المبالغ قد جاءت من «القصر أو رئيس الوزراء أو كليهما[٤٨]» .

شاهد ثالث ما علمه سير « كين بويد » أحد كبار موظفى الحكومة المصرية الإنجليز وبصورة سرية للغاية من سعى على ماهر لمنح بعض أموال وزارة الداخلية لأحمد حسين .

ثم آخر هذه الشواهد فيما التزم به على ماهر من خطة الدفاع عن أحمد حسين والقمصان الخضراء أمام المندوب السامى[٤٩] .

٣ — كان الملك فؤاد على فراش المرض الذى انتهى بموته على امتداد شهور تلك الجولة ، واختفاء مثل هذه الشخصية المؤثرة من على مسرح السياسة المصرية قد دفع يقيناً سائر الجماعات السياسية لبذل مزيد من الجهود لملأ الفراغ الذى ترتب على هذا الاختفاء واستخدام سائر ما تملكه من وسائل فى هذا السبيل وكان أصحاب القمصان الملونة إحدى تلك الوسائل .

* * *

يبقى بعد ذلك تسجيل مظاهر الحدة المتزايدة التى شهدها الصراع بين جماعات أصحاب القمصان الملونة خلال تلك الجولة .

هناك أولا صدامات العنف التى حدثت بين الطرفين والتى تتحدث التقارير عنها وأشهرها تلك الحادثة التى وقعت فى ١٧ فبراير عام ١٩٣٥ أثناء

خطبة أحمد حسين فى عدد من أصحاب القمصان الخضراء فى القاهرة .فقد تدخل بعض أصحاب القمصان الزرقاء يقاطعونه مما أدى إلى نشوب معركة بين الطرفين لم تنته إلا بتدخل الشرطة(٥٠) .

وهناك ثانياً التلويح باستخدام العنف فيما حدث من تدخل أصحاب القمصان الخضراء لمنع تعيين توفيق نسيم ضمن هيئة الأوصياء على العرش فى أعقاب وفاة الملك فؤاد .

ذلك أن عهد الوزارة النسيمية الأخيرة قد شهد تقارباً شديداً بين الرجل وبين الوفد مما دعا خصومه إلى اتهامه بأنه قد أصبح العوبة فى يد الحزب الكبير ، من ثم فقد كان تعيين توفيق نسيم كأحد الأوصياء مما لا يرضى خصوم الوفد وبالذات أصحاب القمصان الخضراء والذين هددوا بإثارة المتاعب يوم تشييع جنازة الملك فؤاد وكان شرطهم لوقف هذه المتاعب عدم تعيين توفيق نسيما وصياً(٥١) .

دعا ذلك المندوب السامى البريطانى إلى التدخل لدى على ماهر محذراً من أى متاعب قد تثيرها مصر الفتاة ، ثم أن الوفد من ناحية أخرى وأمام اتساع قاعدة المعارضة لتعيين نسيم وصياً على العرش قد تخلى عن فكرة مساندة الرجل مما أفضى به النحاس فى لقاء له مع لامبسون(٥٢) .

وهناك أخيراً تلك الجماهيرية التى أصبحت تحظى بها تحركات وتجمعات أصحاب القمصان الخضراء والذى أضفى على الصراع بينهم وبين أصحاب القمصان الزرقاء حجماً لم يكن له خلال المراحل السابقة .

وبالرغم من أن التقارير البريطانية تقدر بتحفظ أعداد رواد اجتماعات مصر الفتاة إلا أنها تسلم بأنه فى اجتماع لها فى الاسكندرية فى ٥ فبراير دبرته ليلتى فتحى رضوان خطبة قصده حوالى ألف شخص أكثرهم من الطلاب ،

كما تقر بأنه فى اجتماع آخر للجماعة فى الاسكندرية فى ١٠ فبراير ثم عقده للترحيب بأحمد حسين بمناسبة عودته إلى بلاده بعد رحلة فى أوربا بلغ عدد الحاضرين أكثر من خمسمائة ، بالإضافة إلى اجتماع ثالث فى القاهرة أقيم بنفس المناسبة تقول عنه التقارير البريطانية أنه « كان اجتماعاً شعبياً ضم عدداً كبيراً من طلاب الجامعة والأزهر كما ضم بعض الشخصيات الهامة مثل عبد الرحمن فهمى رئيس تحرير روز اليوسف[٥٣] » .

* * *

تبقى (الجولة الرابعة) والأخيرة فى الصراع بين أصحاب القمصان الملونة والتى جرت خلال الأسابيع الأولى من حكم الوزارة النحاسية الثالثة ، ففى ٩ مايو ١٩٣٦ وبعد فوز الوفد فى الانتخابات البرلمانية ألف مصطفى النحاس وزارته الجديدة وفى جو مختلف هذه المرة . .

فمن ناحية كان بادياً أن مصر فى مفاوضاتها الجديدة مع بريطانيا قد تصل إلى اتفاق مما لم تتمخض عنه أى مفاوضات سابقة ، وكان معنى ذلك كما تصوره الزعماء الوفديون التخلص من التدخل البريطانى فى الصراعات السياسية الداخلية . ومثل هذا التخلص كان سيحسب بالقطع لحساب الوفد لأن ذلك التدخل غالباً ما كان يحدث ضد حزب الأغلبية .

من ناحية أخرى فإن الوفد قد نظر لوفاة الملك فؤاد قبل أيام من تأليف الوزارة الجديدة باعتبارها عاملا آخر لفرض الإرادة الشعبية التى أتت به إلى الوزارة طالما أن الملك استمر طوال عهده الأداة الرئيسية لكسر تلك الإرادة .

وعلى ضوء هاتين الحقيقتين فقد كان واضحاً منذ البداية أن نتيجة الجولة الجديدة للصراع بين أصحاب القمصان الزرقاء والخضراء معروفة مقدماً .

وتبدأ هذه الجولة بتغيير واضح فى (تكتيك) أصحاب القمصان الخضراء الذين وعوا بلا شك طبيعة التحولات الجديدة مما تمخض عنه هذا التغيير .

يتضح التغيير المذكور فيما قرره (أحمد حسين) وعدد من أعضاء جماعته من القيام بجولة فى الصعيد ابتداء من ٢٨ مايو ١٩٣٦ الهدف منها نشر الدعاية الثورية بين الفلاحين(٥٤) .

وكان وراء مثل هذا القرار ، فيما تذكره الوثائق البريطانية ، الاقتناع بأن العمل السياسى للجماعة بين الطلاب وحدهم لم يؤت بالثمار المرجوة(٥٥)، ومن الواضح أن ذلك الإخفاق النسبى قـــد نتج عن نجاح جماعة أصحاب القمصان الزرقاء فى استقطاب شباب المدن ممـا بدا معه تضاؤل أمل القمصان الخضراء فى كسب الصراع ضـد منافسيهم إذا ما استمر محصوراً داخل المدينـة .

وبقوة السلطة هـذه المرة بدأ الوفد يتحرك فأطلق النحاس التصريحات بأن جماعة مصر الفتاة أصبحت تمثل خطراً عاماً على البـلاد ، ثم تبع ذلك باصـدار التعليمات إلى مديرى مديريات الصـعيد بمراقبة أحمد حسين ورفاقه فى الجولة التى يزمعون القيام بها مراقبة شـديدة وأن تقوم النـيابة باعتقالهم إذا ما عقـــدوا اجتماعات غير مشروعة أو ألقوا خطباً تضر بالأمن العام وباعادتهم إلى القاهرة تحت الحراسة(٥٦) .

وواضح أن الجهـات الإدارية بمديريات الصـعيد قد نفـذت تعليمات الحـكومة الوفدية مما دعا أحد النواب هو « هرون سليم أبو سحلى باشا » إلى التقدم باستجواب « بشـأن ما تعرض له بعض أعضاء جمعية مصر الفتاة من معاملة الحـكومة أثناء زيارة لهم فى أسوان » .

ولأهمية الإجابة التى أدلى بها النحاس باشـا عن الاستجواب المذكور فى الصراع الدائر بين أصحاب القمصان نثبتها بنصها .

قال رئيس الوزراء « ثبت لوزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البـــلاد (ضجة) ولذلك قررت الوزارة حرصاً على مصلحة الدولة أن تمنع تجوال هذه الجمعية فى القرى بزى خاص وقد بذلت لرئيس الجمعية النصيحة الودية بالعدول عن السفر إلى الصعيد ، فلما لم يستمع لهذه النصيحة وسافر هو ومن معه إلى أسوان لم يتعرض لهم أحد ولكن اتخذت الإجراءات للحيلولة بينهم وبين التجوال فى القرى بزى خاص والاتصال بالأهالى وذلك السبب الذى بيناه .

« وليس صحيحاً ما ذكر فى الاستجواب من إصدار الأوامر بضرب الزائرين لخيام الجمعية .

« هذا ولم تتعرض الحكومة لجمعية مصر الفتاة فى المدن الكبرى بل تركت أفرادها أحراراً يلبسون ما يشاءون فى حدود القانون .

« وإن هذه الجماعة التى تنطوى أغراضها وعلاقاتها على ما يضر بمصلحة الدولة الكبرى ، لا يصح مقارنتها بجماعة الشـــبان الذين يلبسون القمصان الزرقاء والذين تقوم مبادؤهم على احترام النظام والقانون والعمل لخير البلاد وينتمون إلى هيئة سياسية مسئولة»(٥٧) .

وتبدو أهمية هذه الإجابة كنقطة تحول أساسية فى الصراع بين جماعات أصحاب القمصان الملونة من مجموع الملاحظات التى يمكن تسجيلها عليها على النحو التالى .

١ — بينما وضعت الاجابة المذكورة جماعة القمصان الخضراء فى موضع العمالة لدولة أجنبية وبالتالى فى موضع من (اللاشرعية) فإنها قد وضعت جماعة القمصان الزرقاء فى موضع من (الشرعية الكاملة) على أساس احترامهم « للنظام والقانون والعمل لخير البلاد » .

٢ — رأت الزعامة الوفدية أنها بإلقاء هذا الاتهام الذى عنيت به إيطاليا ، بالرغم من أن بيان النحاس لم يذكرها صراحة ، قد كسبت فى ميدان السياسة الداخلية ولم تخسر .

كسبت الجانب البريطانى باتهامها لإيطاليا مما يبدو فى التساؤل الذى ألقاه مكرم عبيد على ممثل المندوب السامى البريطانى فى اليوم التالى مباشرة لجلسة مجلس النواب . . فقد سأل مكرم المستر كيلى « أليس تصريح النحاس دليلا على أن الحكومة المصرية قد ألقت بثقلها إلى جانب انجلترا وأنها قد خاطرت فى ذلك بقبول عداء إيطاليا .

ويرى « كيلى » فى تقرير له إلى لنـــدن أن فى ذلك التساؤل شيئاً من الصحة(٥٨) .

فى نفس الوقت رأت الحكومة الوفدية أنها لم تخسر إيطاليا من جراء تصريح رئيسها ، ذلك أنه فى أعقاب التصريح المذكور هرول الوزير الايطالى المفوض إلى مكرم عبيد يتساءل منزعجاً عن الدولة المقصودة فراوغه مكرم باشا مجيباً بأنه لم يرد ذكر اسم أى دولة كما لم تتم الاشارة إلى أى بعثة ديبلوماسية أجنبية(٥٩) .

ومثل هذا الكسب فى ميدان السياسة الداخلية عموماً وفى ميدان الصراع بين أصحاب القمصان على وجه الخصوص كان محسوباً بلا شك لأصحاب القمصان الزرقاء .

٣ — قضى بيان رئيس الوزراء على محاولات قامت بها جماعة مصر الفتاة للتفاهم مع الوفد ، ففى خلال مايو عام ١٩٣٥ جرت اتصالات بين بعض رجال الجماعة وبين الدكتور أحمد ماهر عضو الوفد البارز ورئيس مجلس

النواب والذى وعد ببذل جهوده لتحسين العلاقات بين الوفد وبين أصحاب القمصان الخضراء[٦٠] .

٤ ــ بدا واضحاً خلال المناقشات التى جرت فى مجلس النواب حول بيان النحاس طبيعة القوى التى تساند رجال مصر الفتاة والتى لم تخرج عن الحزب الوطنى بوجوده الضعيف فى مجلس النواب حيث إن أعضاءه فى المجلس[٦١] ، وقفوا وحدهم يدافعون عن حرية العمل لجمعية مصر الفتاة[٦٢] .

ولم يكن أمام « أصحاب القمصان الخضراء » بعد ذلك إلا التصدى بالعنف لمحاولات تصفيتهم وهو ما حدث بالفعل بعد أقل من أسبوع من إلقاء النحاس لبيانه .

ففى مساء ٢٦ يونيه نشبت معركة كبيرة فى القاهرة بين أصحاب القمصان الزرقاء ، وأصحاب القمصان الخضراء استخدمت فيها العصى والأحجار والخناجر .

وقد اتسع نطاق هذه المعركة ليصل إلى حد تخريب بعض المنشئات العامة وإحراق مركبات الترام مما اضطر الشرطة إلى التدخل وإلقاء القبض على بعض المشتركين فيها وإعادة النظام إلى مجراه[٦٣] .

وتمثل هذه المعركة المشهد الأخير من مشاهد الصراع بين أصحاب القمصان الملونة وليتحول هذا الصراع (بينهم) إلى صراع (حولهم) فيما بدا خلال المرحلة الباقية من عهد الوفد الذي استمر حتى نهاية عام ١٩٣٧ .

ثانياً : مرحلة الصراع (حول) أصحاب القمصان الملونة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ :

دار الصراع خلال تلك المرحلة بين القوى السياسية الرئيسية الثلاث التى ظلت تلعب الدور الأساسى فى السياسة المصرية .

— الوجود البريطانى بوضعه المختلف قبل توقيع معاهدة ١٩٣٦ وبعد توقيعه .

— القصر يمثله مجلس وصاية ضعيف خلال فترة من تلك المرحلة ثم ملك شاب متعطش للحكم خلال الفترة الأخرى .

— الوفد تدعمه شعبيته التقليدية من ناحية ويدعمه وجوده فى الساطة من ناحية أخرى .

هؤلاء هم (أطراف) الصراع ، أما (موضوع) الصراع فقد كان « أصحاب القمصان الزرقاء » الذين بقوا فى الميدان وحدهم بعد أن توارى عنه « أصحاب القمصان الخضراء » الذين رأوا كل الظروف فى غير صالحهم فقرروا أن ينكمشوا على أنفسهم ، ولو إلى حين .

(سبب) الصراع أن الطرفين الأولين (الانجليز والقصر) لم يكونا ليسمحا أن يظل الوفد فى سعيه لزيادة حجم أصحاب القمصان الزرقاء ممن يمكن أن يشكلوا مع الزمن أظافر حادة للحزب الشعبى الكبير تؤثر فى طبيعة التوازن بين القوى الثلاث .

يبقى بعد ذلك تحديد (فترات) الصراع ، ويمكن أن تنقسم على النحو التالى كما نتصور :

١ — الفترة الممتدة حتى نوفمبر عام ١٩٣٦ حين وافق البرلمان المصرى على المعاهدة وأصبحت بالتالى سارية المفعول .

٢ ــ الفترة الممتدة بين نوفمبر عام ١٩٣٦ ويوليه عام ١٩٣٧ حين تم تتويج فاروق ملكا قرب نهاية هذا الشهر .

٣ ــ وتضم الفترة الأخيرة الشهور الخمسة التالية حتى أقيلت الوزارة الوفدية فى نهاية عام ١٩٣٧ .

ويمين (الفترة الأولى) أن الصراع دار أساساً حول القمصان الزرقاء بين الانجليز والوفد أما القصر فقد كان شبه غائب عن هذا الصراع، والأسباب واضحة ، فالانجليز حتى هذا الوقت ما كانوا يخشون إتهامهم بإنتهاك حقوق الاستقلال الكامل لمصر عما اعترفوا به فى المعاهدة ، أما القصر فقد كان يمثله مجلس وصاية ضعيف يعلم أعضاؤه أن بقاءهم موقوت ومن ثم ظلوا ينظرون لدار المندوب السامى يستلهمونها الوحى أو يتركونها تسعى لإبقاء التوازن حتى يتولى الملك الصغير سلطاته الدستورية بعد ذلك بشهور ، ومن هنا جاء قولنا بأن القصر كان غائباً خلال تلك الفترة من فترات الصراع .

والملاحظ أن حدة الصراع بين الانجليز والوفد خلال هذه الفترة قد تصاعدت على نحو متدرج من التنبيه الرفيق إلى التحذير القوى إلى الانذار أو مايشبه الانذار .

التنبيه الرفيق بدا فى اللقاء الذى تم بين السير مايلز لامبسون ومكرم عبيد باشا فى ٩ يوليو ١٩٣٦ . فقد أعرب المندوب السامى البريطانى للوزير الوفدى فى هذا اللقاء عن القلق الذى يساوره « من أن يؤدى سماح الوفد للقمصان الزرقاء بالنمو دون كبح جماحها إلى خلق وحش ، فرانكشتين ، ليس بالإمكان السيطرة عليه »

ونبه السير لامبسون أيضا إلى خطورة مثل هذه التنظيمات شبه العسكرية باعتبارها سلاحا ذا حدين « وإنى آمل ألا يقطع أصابع الحكومة » .

أجاب مكرم باشا على تلك التنبيهات بردود مطمئنة فهو من ناحية قد ذكر للامبسون أن الوفد حريص على عدم منح أصحاب القمصان أهمية كبيرة ودال على ذلك بأن الوفد لم يضع على رأس هؤلاء زعيما له قيمة ، كشخصه مثلا(!) .

من ناحية أخرى أبلغ المندوب السامى أنه قد تم مؤخراً تحذير أصحاب القمصان الزرقاء ، من استخدام أى عنف وطلب منهم صرف أنشطتهم إلى ميادين سلمية كالرياضة مثلا،وقد أكد المدير العام للإدارة الأوربية لمساعدى السير لامبسون أنه قد صدرت بالفعل تعليمات من النحاس لأعضاء التنظيم بعدم حمل السكاكين والهراوات(٦٤).

واكتفت دار المندوب السامى خلال تلك المرحلة بالتنبيه الرفيق كما قبلت فى نفس الوقت ردود سكرتير الوفد على التنبيه .

يأتى بعد ذلك « التحذير القوى » الذى وجهه المندوب السامى البريطانى إلى النحاس شخصيا فى أوائل نوفمبر ١٩٣٦ .

وقد صدر هذا التحذير نتيجة لمجموعة التطورات التى دخلت على تنظيم « أصحاب القمصان الزرقاء » خلال الأسابيع السابقة .

من هذه التطورات ما تعلق « بحجم التنظيم » ومنها ما اتصل « بنوعيته » ومنها ما ارتبط بأساليب نشاطه .

فيما يخص حجم « جماعة القمصان الزرقاء»: فقد لاحظت الدوائر البريطانية فى القاهرة أن أعداد أعضائها تتزايد بصورة تفوق كل ما كان متوقعاً لها ، وقد ذكرت هذه الدوائر، وبالرغم من التحفظ البادى فى تقدير أعداد هؤلاء ، أنهم قد جاوزوا الثمانية آلاف خلال أكتوبر ١٩٣٦[٦٥] .

فيما يتصل بالنوعية:فقد جاءت الأخبار إلى المندوب السامى البريطانى أن كلا من النحاس ومكرم خلال زيارتهما لألمانيا أثناء عودتهما من لندن بعد توقيع المعاهدة قد أبديا اهتماماً متزايداً بتنظيمات الشبيبة النازية وبأصل تنظيمات فرق العاصفة مما دعاهم إلى الربط بين هذا الاهتمام وبين الجهود التى يبذلها الوفد لتطوير القمصان الزرقاء ، وخرجوا من هذا الربط بأن تلك القمصان فى طريقها لتتحول إلى تنظيم فاشى(٦٦) .

وبالرغم من أن مكرم عبيد فى لقاء له مع ممثل المندوب السامى حاول تبديد هـــذا الاعتقاد والتأكيد على أن النحاس لا يوافق إطلاقاً على الدكتاتورية(٦٧) ، وبالرغم من المعلومات المتوفرة لدى دار المندوب السامى بأن إيطاليا لا تهتم بأصحاب القمصان الزرقاء أو أى حركة تؤيد النحاس باشا(٦٨) ، بالرغم من كل ذلك فقد ظل المسئولون البريطانيون فى القاهرة على خوفهم من تحويل التنظيم إلى وجهة فاشية مما بدا فى طلبهم من وزارة الخارجية بلندن أن تسعى للحصول على مزيد من المعلومات من سفيرها فى برلين عن طبيعة نشاط النحاس ومكرم خلال زيارتهما للعاصمة الألمانية(٦٩).

يبقى ما تعلق بأساليب النشاط فقد قامت فرق القصمان الزرق بمناسبة عودة النحاس ومكرم من أوربا باستعراض قوة أقلق المسئولين البريطانيين فى القاهرة ، ويكفى فى هذا الصدد تسجيل ما جاء فى بعض تقارير هؤلاء المسئولين مما يبدو معه قدر قلقهم ، يقول أحد هذه التقارير وهو مؤرخ فى ١٦ أكتوبر ١٩٣٦ أنه « عندما عاد النحاس ومكرم إلى الاسكندرية فى ١٢ أكتوبر فإن مجموعات من القمصان الزرقاء قادمة من القاهرة وبورسعيد والمدن الأخرى قد اصطفت على طول الطريق بين الميناء والفندق الذى نزل به النحاس . وقد أجبرت السفينة التى توقفت فى بورسعيد فى طريقها إلى الاسكندرية على نقل أربعمائه من هؤلاء ، وغير معلوم حتى الآن الجهة التى ستتحمل نفقات رحلتهم على هذه السفينة . وقد أقيم معسكر لأصحاب

القمصان الزرقاء فى « اللوناپارك » ، ولا زالت مجموعات منهم تسير بخطوات عسكرية فى شوارع الاسكندرية مما يذكر بالأيام الأولى المظلمة للنازية فى ألمانيا » (٧٠) .

ودعا كل ذلك لامبسون إلى أن يتحدث بلهجة عنيفة ، على حد تعبيره ، إلى النحاس باشا فى لقائه به صباح ٩ نوفمبر ١٩٣٦ ويبلغه بصراحة بشعور المرارة فى لندن تجاه هذا التنظيم شبه العسكرى ، وهى كلمات لامبسون أيضاً .

أكثر من ذلك فإن المندوب السامى البريطانى قد أشار إلى النحاس فى هذا اللقاء ، بأن مشروعا سوف يطرح فى القريب على البرلمان البريطانى يمنع مثل هذه التنظيمات فى المملكة المتحدة وأنه يستطيع الحصول على هـــذا المشروع إذا ما رأى رئيس الوزراء المصرى أنه قد يكون مفيداً(٧١) وكأنما أراد السير لامبسون بذلك أن يوحى للنحاس باشا بحل القمصان الزرق ، ولكن كما يتضح من التقرير البريطانى عن هذا اللقاء فإن النحاس لم يفهم . . أو على الأقل تظاهر بأنه لم يفهم (!) مما دعا إلى الانتقال إلى آخر مراحل الصراع بين الطرفين بالإنذار أو بما يشبه الإنذار .

جاء هذا الإنذار بناء على تقرير طويل للغاية وضعه ممثل المندوب السامى البريطانى فى القاهرة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٣٦ وسجل فيه عدداً كبيراً من الحقائق عن أصحاب القمصان الزرقاء يمكن تلخيصها فيما يلى :

(١) غلبة الدهماء على أصحاب القمصان الزرقاء ، فبينما لم تزد نسبة الطلاب فى التنظيم عن ١٥ ٪ كانت البقية من العاطلين والغوغاء وقلة من الحرفيين وعدداً من العمال .

(٢) تسلح أغلب أعضاء التنظيم بالهراوات والخناجر كما أن عددا منهم ،

ولو أنه قليل ، كان يحمل أسلحة نارية صغيرة ، أكثر من ذلك فإنهم طلبوا عدداً من بنادق الخرطوش لاستخدامها فى تدريباتهم .

(٣) بالإضافة للحوادث الصغيرة اليومية التى يتسبب فيها أعضاء التنظيم مثل التهديد باستخدام الخناجر أو رفض دفع أثمان التذاكر بالسيارات العامة أو إقامة معسكرات فى أماكن دون إذن أصحابها ، بالإضافة لتلك الحوادث يسجل التقرير حادثتين كبيرتين .

إحداهما جرت يوم ١٦ أكتوبر بين مجموعة القمصان الزرقاء التى يرأسها زهير صبرى وبين المجموعة الثانية التى يقودها محمد بلال ، ذلك أنه بينما كانت المجموعة الأولى تقوم ببعض التدريبات مساء ذلك اليوم هاجمهم حوالى ١٥٠ من رجال المجموعة الثانية وحطموا معسكرهم وقبضوا على ستة منهم عادوا بهم إلى معسكرهم وإن كانوا قد أطلقوا سراحهم بعد نحو ثلاث ساعات ، وقد استخدمت العصى والسكاكين فى هذا العراك ، كما سمعت بعض طلقات فى الهواء .

الثانية جرت فى اليوم التالى مباشرة (١٧ أكتوبر) حين اختلف شاب من أصحاب القمصان الزرقاء مع أحد أصحاب المحال على ثمن قميص ونشبت معركة أدت إلى تدخل الشرط واعتقال المتشاجرين . ترتب على ذلك أن قامت مجموعة من أصحاب القمصان الزرقاء باقتحام مركز الشرطة المحتجز فيه زميلهم ولم ينصرفوا إلى بعد ظهور المأمور الذى نجح فى حثهم على الانصراف .

(٤) ذكر التقرير أيضاً أن حكومة الوفد تتدخل لزيادة حجم أصحاب القمصان ويدلل على ذلك بأن عددا من أساتذة المدارس الثانوية أخذوا فى تحريض تلاميذهم على الانضمام للتنظيم .

(٥) ويعود التقرير ليلوح بأهداف الزعامة الوفدية لإضفاء الصبغة الفاشية على أصحاب القمصان الزرقاء ، وقد ذكر فى هذا الصدد أن السكرتير البرلمانى لوزارة الداخلية قد طلب من الإدارة الأوربية بالوزارة معلومات مفصلة عن تنظيمات الشباب النازى إلا أن تلك الإدارة قد أحالته إلى وزارة الخارجية ، كما ذكر أيضاً أن النحاس باشا قد رفع يده بالتحية النازية لمستقبليه من أصحاب القمصان الزرقاء عند وصوله إلى ميناء الاسكندرية .

(٦) أخيراً رأى التقرير أن الوفد يعد أتباعه من أصحاب القمصان لصدام محتمل فى المستقبل مع القصر(٧٢) .

ومن الواضح أن هذا التقرير قد أثار قلقاً عميقاً فى دوائر وزارة الخارجية البريطانية ، فقد علق عليه المستر إيدن بنفسه بما نصه « لقد تأثرت كثيراً من الاحتمالات المتزايدة بالخطر من هذه الجماعة » .

وتتبع حكومة لندن ذلك بأن تبعث إلى ممثلها فى القاهرة تطلب منه أن يقدم نصيحة قوية إلى الحكومة المصرية (وهى الصيغة التى اعتادت أن تستخدمها بدلا من لفظ الإنذار) لتعديل سياستها بشأن أصحاب القمصان الزرقاء .

نص هذه النصيحة أو الإنذار الذى أرسل به إيدن إلى لامبسون كان كما يلى :

« أن تطلبوا من النحاس باشا بكل الوسائل التى تحت أيديكم اتخاذ الإجراءات السريعة للسيطرة على هذه الحركة والحد من نشاطها وصرف جهود أعضائها إلى جوانب نافعة ، وأن مثل هذا الأمر على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لمستقبل مصر .

« وأن استمرار هذه الجماعة قد يسبب قلقاً للأجانب فى مصر ولحكوماتهم وأن مقالات بهذا المعنى بدأت تظهر فى الصحف الإنجليزية وأن جماعة مثل أصحاب القمصان الزرقاء ، قد تكونت لمواجهة جماعة مشابهة ، لها خطرها على الأمن العام . ويزيد من هذا الخطر انقسامها وعدم تنظيمها ولجوؤها إلى العنف. ثم أن استمرارها قد يؤدى إلى إعادة الجماعة المنافسة إلى الوجود. ويمكن أن يتشجع أصحاب القمصان الخضراء على الظهور مرة أخرى بالشعور باحتمال استخدام القمصان الزرقاء ضد العرش .

« هذا وينبغى لفت نظر رئيس الوزراء إلى أهمية إزالة أى مخاوف لدى الأجانب أثناء بحث إلغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة مما تقرر أن يكون محل مفاوضة فى المستقبل القريب .

« أما فيما يتعلق بالمستقبل البعيد فعليكم أن تبصروا دولته بحكمة منع اضطراد حجم التنظيم إلى درجة قد تؤدى إلى أن تحاول قوة ثالثة التدخل بدعوى حماية مواطنيها ، أو تشجيع نظرية سياسية للضغط على جماعة أو أخرى »(٧٣) .

وفى صبيحة ٢٦ نوفمبر ١٩٣٦ بادر لامبسون بالفعل بابلاغ نص (النصيحة) السابقه إلى النحاس .

ويقول المندوب السامى البريطانى فى تقريره عن لقائه مع رئيس الوزراء المصرى أنه ، أى النحاس باشا ، قد تقبل النصيحة البريطانية بروح طيبة ، وأنه سوف يتخذ الخطوات المناسبة لإبعاد العناصر غير المرغوب فيها من صفوف التنظيم ولمنع حمل الأعضاء للأسلحة من أى نوع .

على أنه من ناحية أخرى لم يتقبل روح النصيحة التى كانت تتضمن إلغاء الجماعة أصلا ، وكان مبرره فى ذلك أنه لو فعلها وحل الجماعة لاتهم

بشكران الجميل ولتحول هؤلاء إلى مجموعة من الساخطين مما يتحقق معه أسوأ المخاوف البريطانية . من ناحية أخرى فقد أشار إلى المؤامرات التى ذكر أنها كانت تحاك وقتذاك ضد الوفد وإلى خشيته من احتمال انقلاب عليه من جانب القصر ، ومن ثم فلا يجب أن يلام إذا ما اتخذ عدته للدفاع عن نفسه وعن حزبه إذا ما هوجما(٧٤) .

وكانت هذه النصيحة أو هذا الانذار والرد عليه بمثابة نهاية للفترة الأولى من فترات الصراع حول القمصان .

* * *

ساد الهدوء خلال (الفترة التالية) من فترات الصراع حول القمصان الملونة والتى امتدت حتى يوليه ١٩٣٧ حين تولى الملك فاروق الأول سلطاته الدستورية . . وهو هدوء اعترفت به أشد الدوائر السياسية عداوة للوفد وبالذات دوائر القصر التى كانت تهتم دائما بالتهويل من مخاطر أصحاب القمصان الزرق والتى كانت تعبر عنها آنذاك صحيفة البلاغ(٧٥) .

وكان لهذا الهدوء أسبابه سواء من جانب دار المندوب السامى أو من جانب الحكومة الوفدية .

من الجانب البريطانى فقد ثبت عدم امكانية تطبيق نفس المرسوم الذى قرره البرلمان الإنجليزى خاصاً بحل التنظيمات شبه العسكرية فى بريطانيا على مصر ، حيث أن مواد هذا المرسوم لاينطبق على الوضع الذى ترتب على التنظيمات الأخيرة للقمصان الزرقاء ،(٧٦) وذلك كما قرر السير لامبسون نفسه .

أهم من ذلك ما ارتآه المندوب السامى البريطانى من تغييرات دخلت على العلاقات المصرية — البريطانية بعد أن أصبحت المعاهدة نافذة المفعول ، وأن هذه التغييرات لم تعد تسمح للجانب البريطانى بتقديم نصائحه أو انذاراته كما كان يحدث من قبل .

فى أواخر ديسمبر عام ١٩٣٦ أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى ممثلها فى القاهرة تطلب منه «تقديم نصيحة أخرى لرئيس الوزراء فى موضوع القمصان الزرقاء(٧٧)» .

رد لامبسون على ذلك برفض الاستمرار فى أسلوب تقديم النصائح ، وكما قال بالنص أنه « على ضوء الأوضاع الجديدة بعد المعاهدة يجب أن يقوم نفوذنا على قواعد مختلفة وأن نلتزم بالحرص فى استخدامه . ولا شك أن هذا النفوذ سوف يفقد قيمته إذا ما فشلنا فى استخدامه فى مسألة داخلية كهذه . ولقد أ رب أمين عثمان باشا لبعض المشتغلين معى عن نصيحته بعدم استمرار الاحتجاجات مثل تلك التى تقدمت بها فى ٢٦ نوفمبر الماضى لأن النحاس أصبح حساسا للغاية من مثل هذه الاحتجاجات . وبناء على ذلك فإذا ما حدث وتقدمت باحتجاج وتجاهله النحاس فلا شك أن هـــذا سوف يضعف من نفوذنا خاصة إذا ما اتهمنا بالتدخل فى الشئون الداخلية مما نصبح معه فى موقف العجز تماماً »(٧٨) .

أما من جانب الحكومة الوفدية فقد كانت لها بدورها من الأسباب ما يجعلها تقبض يدها بعض الشىء وخلال تلك الفترة بالذات عن الاستمرار فى تشجيع وتطوير جماعة القمصان الزرقاء .

ذلك أن تلك الفترة قد شهدت انعقاد مؤتمر مونترو لتسوية مسألة الامتيازات والمحاكم المختلطة ، ولم يكن فى صالح مصر ولا فى صالح حكومة الوفد التى أرادت أن يتم التخلص من هذين القيدين على الاستقلال المصرى على أيديها .. لم يكن فى صالح الطرفين أن يسود المناخ السياسى فى البلاد أوضاع تثير الريبة والشكوك لدى الدول صاحبة الامتيازات مما قد يعوق احتمالات الوصول إلى إتفاق ، ولا شك أن وجود مثل هذه التنظيمات شبه

العسكرية بكل ما تمثله من تهديد لرأس المال الأجنبى كان يمكن أن يكون من أهم دوافع الريبة والشكوك .

إذا أضفنا إلى ذلك تأثير الاحتجاجات البريطانية التى قدمت خلال الفترة السابقة وتأثير بعض أصوات المعارضة التى بدأت تعلو ضد التنظيم خاصة بعد الاشتباكات التى حدثت بين أعضائه .... إذا أضفنا كل ذلك فإنه يمكن على ضوئه تفهم أسباب سياسة قبض اليد الوفدية عن الاستمرار فى تطوير وتشجيع جماعة القمصان الزرقاء ، مما يبدو فى القرارات الآتية التى اتخذتها الزعامة الوفدية فى ديسمبر ١٩٣٦ :

١ — تأكيد الصبغة الرياضية للجماعة .

٢ — منع حمل الأسلحة نهائياً .

٣ — تأسيس مجلس تنفيذى للجماعة بأمر صادر من رئيس الوفد يرأسه عسكرى متقاعد هو حافظ بك صدقى ، ويضم كلا من زهير صبرى ومحمد بلال قائدى المجموعتين المتنافستين ، على أن يكون هذا المجلس مسئولا عن تنظيم مختلف المجموعات.

٤ — عدم التصريح لأعضاء التنظيم بارتداء القمصان الزرقاء فى الأماكن العامة إلا فى الأوقات والمناسبات التى يحددها المجلس التنفيذى(٧٩) .

* * *

تبقى بعد ذلك (الفترة الثالثة) والأخيرة التى شملت الشهور بين يوليه وديسمبر ١٩٣٧ وقد بلغ خلالها الصراع حول القمصان الملونة ذروته وكان طرفاه هذه المرة الحكومة الوفدية والقصر ولم ينته إلا بالتخلص من أصحاب القمصان وبالاطاحة بالحكومة الوفدية .

وتتضافر أسباب عديدة لتصل بالصراع إلى الذروة يمكن أن نرتبها فيما يلى :

١ أن الأسباب التى دعت الوفد إلى التهدئة من نشاط القمصان الزرقاء خلال الفترة السابقة كانت قد زالت بعد نجاح مؤتمر مونترو والوصول إلى الإتفاق الشهير باسم تلك المدينة السويسرية .

٢ — أن الترحيب الشعبى البالغ الذى استقبل به الملك فاروق مع توليته لسلطاته الدستورية فى يوليه عام ١٩٣٧ قد شجع القصر على العودة لاتخاذ زمام المبادأة كما شجعه فى نفس الوقت على قبول التحدى الوفدى ، وكانت القمصان الزرقاء أهم مظاهر هذا التحدى .

٣ — أن الوفد قد شهد خلال تلك الشهور إنشقاقا من أخطر الانشقاقات التى عرفها تاريخ الحزب الكبير وذلك عندما خرج من صفوفه النقراشى باشا ثم تبعه بعد ذلك بقليل الدكتور أحمد ماهر .

وقد أدى هذا الإنشقاق إلى التأثير بشكل مباشر على قضية الصراع حول القمصان الزرقاء .

التأثير بالشكل (المباشر) بدأ فى استخدام أصحاب القمصان الزرقاء لضرب خصوم النحاس المنشقين عليه ، وقد منح هذا لخصوم التنظيم وخصوم الوفد السلاح الذى يهاجمون به القمصان الزرقاء باعتبارهم سلاحا فى أيدى النحاس لفرض دكتاتوريته ليس على خصوم الوفد فحسب بل حتى على أبنائه الذين يمكن أن يختلفوا مع زعامته ، وهى نغمة استخدمها النقراشى نفسه فى البيان الذى أصدره يعلق به على خروجه على الزعامة النحاسية .

أما التأثير بالشكل (غير المباشر) فقد بدا فى تأثير الإنشقاق فى تماسك الوفد وبالتالى فى قوته بما وفر لخصومه ، والقصر بالذات ، إمكانية ضربه وضرب أصحاب القمصان معه .

تبدأ تلك الفترة الأخيرة من الصراع بحادثة اعتدى خلالها بعض

أصحاب القمصان الزرقاء على أحد عمال النظافة الذى أثار بعض الأتربة على معسكر لهم أثناء القيام بعمله مما أدى إلى تدخل الشرطة والقبض على المعتدين فثار زملاؤهم وحاولوا اقتحام مركز الشرطة فقبض على بعضهم وتقرر تقديمهم للمحاكمة(٨٠) .

بعد ذلك بأقل من أسبوع (٢٢ مايو ١٩٢٧) هاجم « الزرق » كما كان يحلو للصحف المعارضة أن تسميهم ، هاجموا سرادقا فى دمياط أقامته إحدى الأسر غير الوفدية فيها(٨١) مما ترتب عليه اشتباك بين الطرفين لم ينفض إلا على أيدى الشرطة أيضا(٨٢) .

وكأنما كانت هاتان الحادثتان اشارة البدء بالفترة الجديدة من الصراع بكل حدتها فقد قامت الصحف المعروفة باتصالها الوثيق بالقصر ، وعلى وجه الخصوص صحيفة البلاغ ، بشن حملة عنيفة على أصحاب القمصان الزرقاء مما يمكن رصدها على النحو التالى :

يبدأ عبد القادر حمزة رئيس تحرير البلاغ الحملة بمقالة طويلة بعنوان « الفرق الملونة تتحدى سلطة القانون ومنفذيه — هل يفكر البرلمان فى عواقب بقاء هذه الفرق »(٨٣) .

فى اليوم التالى مباشرة مقالة أخرى بعنوان « القمصان الزرق — خطر على الأمن وعلى القانون — ليس العلاج أن تحل فرقة وتنظم فرقة وإنما العلاج أن تحل الفرق جميعا » . وتحث الجريدة فى هذه المقالة على الاقتداء بالحكومة البريطانية التى حرمت بقانون وجود قمصان ملونة وهيئات مشابهة فيما عدا الكشافة(٨٤) .

بعد ذلك بخمسة أيام مقالة ثالثة تطالب بحل فرق القمصان الزرق « حفظا

للأمن وصونا لسمعة مصر - ظروف مصر لا تسمح بتقليد نظم هى طريق الدكتاتورية »[٨٥] .

وتدفع تلك الحملة الحكومة الوفدية على إصدار بلاغ رسمى ترد فيه على « البلاغ » وتتهمها بأنها « دأبت فى العهد الأخير بدبج مقالات عن فرق القمصان الزرق من شأنها إثارة الخواطر وبث عدم الطمأنينة فى النفوس وتصوير الحوادث تصويرا مثيراً للخواطر والأفكار ، ولم تقف عند هذا الحد بل اخترعت من محض تصويرها أن فى عزم هذه الفـــرق مهاجمتها والاعتداء عليها وأبلغت ذلك إلى وزارة الداخلية التى اتخذت إجراءاتها، وقد ظهر أنه ليس لهذا البلاغ أى أثر من الصحة »[٨٦] .

تدفع أيضا نفس الحملة أصحاب القمصان الزرقاء إلى عقد مؤتمر لهم فى ١٢ يوليه ١٩٣٧ يستنكرون فيه « الحملات المغرضة ضد ذوى القمصان الزرقاء التى يعلن أفرادها إلى الملأ أنهم سائرون حتما فى طريقهم لتأدية رسالة آمنوا بها لمجد الوطن »[٨٧] .

من ناحية أخرى ، ودفعا لإتهامات المعارضة التى علت أصواتها ، فقد تركت الحكومة الوفدية أبناء التنظيم الذين تسببوا فى حوادث ضد القانون ، مما تم الإشارة إليها فى القاهرة ودمياط . . تركتهم يواجهون العقوبات القضائية التى يستحقونها فصدرت ضد ١٦ منهم فى منتصف يونيه أحكام تراوحت بين الغرامة بـ ١٠٠ قرشاً والحبس شهرا ، ويقول لامبسون أن تلك الأحكام قد خلفت شعورا بالرضاء[٨٨] .

وفى أواخر يوليو عام ١٩٣٧ تجرى الاحتفالات بمناسبة تنصيب فاروق ملكا على البلاد ، ويمكن تسجيل ملاحظتين عن تلك الاحتفالات تتصلان بقضية (الصراع حول أصحاب القمصان) :

أولاهما : عودة أصحاب القمصان الخضراء إلى الظهور بهذه المناسبة وذلك بعد طول غياب ، فقد اصطفت فرقة من فرقهم بميـــدان الأزهار بالقرب من دار حزب مصر الفتاة واشتركت فى تحية الملك أثناء ذهابه إلى البرلمان يوم ٢٩ يوليه ، وفى اليوم التالى ذهبت فرقة أخرى منهم إلى قصر عابدين لترفع باسم القمصان الخضراء ولاءها للملك(٨٩) .

أكثر من ذلك أن حزب مصر الفتاة وبعد تولية فاروق للعرش بأقل من ٤٨ ساعة رفع إليه رسالة يشرح فيها رأيه فى الموقف السياسى ويطالب بإجراء انتخابات جديدة تقول الأمة رأيها فيها وذلك بمناسبة هذه التولية (٩٠) .

الملاحظة الثانية : أن صحف القصر وبالذات صحيفة البلاغ كانت الأكثر اهتماما من أى صحيفة أخرى بتحركات مصر الفتاة أو برسائلها والتى أفردت لها مساحات كبيرة من صفحاتها(٩١) .

وبترتب الملاحظتين السابقتين وربطهما يخرج الباحث بإنطباع شبه مؤكد أن القصر قد بدأ يتحرك ضد القمصان الزرقاء منذ الأيام الأولى لعهد الملك الجديد .

ولا شك أن الزعامة الوفدية أيضا قد وعت طبيعة التحركات الملكية ضد القمصان الزرقاء بل وضد الوفد مما دعاها إلى التحرك بدورها .

وكان للتحرك الوفدى هدف محدد وهو السعى إلى استخدام القمصان الزرقاء ، كعامل له قيمته فى الصراع الذى بدا حتميا مع القصر ، وقد تذرعت الزعامة الوفدية بمجموعة من الوسائل لبلوغ هذا الهدف :

١ — بتركيز ولاء جماعات القمصان فى شخص (النحاس) خاصة بعد ما بدا من انشقاق وشيك للنقراشى وبعض أتباعه عن الوفد ، وقد تم تركيز الولاء هذا بقسم قطعه الزرق على أنفسهم وكان نصه :

« أقسم بالله أن أظل مجاهدا لوطنى تحت لواء زعيمى مصطفى النحاس لآخر رمق من حياتى ، وأن أظل وفيا لذكرى سعد ما حييت ، وأن أقاوم بكل قوتى كل خارج على الوطن ، وأكون بعيداً عما يشوه مبدئى أو يسيء إلى هيئتى »(٩٢) .

٢ ــ بالإسراع بقدر الإمكان بزيادة أعداد أصحاب القمصان الزرقاء ، وتذكر إحدى التقارير البريطانية ان « مكرم باشا » قد حث « بلال » رئيس الجماعة على بذل كل جهد لرفع عدد أعضاء الجماعة إلى ١٠٠ ألف ووعده بالمعونة المالية اللازمة لذلك .

يذكر نفس التقرير أيضاً أن الوفد ليحقق مثل هذه الزيادة الطفرية قد فرض على كل مدينة وقرية امداد الجماعة بعدد معين من الرجال المسلحين بالمسدسات والخناجر والبنادق والعصى وأدوات الإسعاف ، كما يذكر أيضاً أنه قد أقيم عدد كبير من المعسكرات فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم لاستقبال كل هذه الأعداد(٩٣) .

٣ ــ بالحصول على المبالغ التى تمكن من استيعاب هذه الأعداد الجديدة فى الجماعة ، وكان سبيل الزعامة الوفدية إلى ذلك إنفاق جانب من « المصروفات السرية » لوزارة الداخلية فى هذا الوجه(٩٤) .

تم الرد على هذا التحرك الوفدى ، وجاء هذا الرد من أطراف متعددة ، وكان رداً أخيراً وحاسماً .

كان أحد هذه الأطراف جماعة المنشقين عن الوفد على رأسهم محمود فهمى النقراشى باشا .

فقد وجه النقراشى باشا « بياناً سياسياً خطيراً(٩٥) » إلى الشعب المصرى فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ يعلن به خروجه من الزعامة الوفدية ، وقد تضمن البيان

المذكور انتقادات شديدة لسياسة النحاس بالسعى لتقديس زعامته، هذه السياسة التى صحبها (عصى ذوى القمصان الزرقاء تهوى على رؤوس من لم يؤمنوا بها من الوفديين المجتمعين وإخراج البعض منهم جرحى فى عهد الحكم الدستورى الذى ينادى بحماية الحريات) .

ثم يدرج ضمن طلباته فى نهاية البيان « حل جميع فرق ذوى القمصان على اختلاف ألوانها . تلك الفرق التى قاومت فكرة وجودها منذ نشأت » .

طرف آخر هو جماعة المعارضين فى مجلس النواب فقد شهدت تلك المرحلة مجموعة من الاستجوابات التى وجهتها المعارضة حول موضوع « أصحاب القمصان الزرقاء » .

فى ٢٣ أكتوبر ١٩٣٧ وجه النائب « ابراهيم دسوقى أباظة » استجواباً لوزير الداخلية بشأن القمصان الزرقاء يعدد فيه مخاطرهم ، وقد أنهى هذا الاستجواب بقوله « أن الوقت قد حان لوضع حد لهذه الفوضى بحل تلك الفرق الحزبية السياسية التى يتنافى وجودها مع النظام الحالى وقيام الحياة النيابية والدستور[٩٦] » .

بعد ذلك بنحو شهر ونصف (٩ ديسمبر) تقدم نائب آخر هو مدنى حسن حزين باستجواب جديد حول نفس الموضوع تحمل كلماته نفس مضمون الاستجواب السابق[٩٧] .

وكانت هذه الاستجوابات جزءاً من الحملة المضادة للوفد .

الطرف الأخير والأهم كان الملك ، وإن كان ينبغى التنبيه بأن الطرفين السابقين كانا يعملان فى الغالب بتشجيع من القصر أو على الأقل بتشجيع به .

وقد تعددت أشكال الرد الملكى على محاولات الوفد بتقوية تنظيم القمصان الزرقاء .

شكل من هذه الأشكال بحملة صحفية قوية جديدة شنتها جرائد القصر خاصة البلاغ .

تعلق هـذه الصحيفة على يمين الولاء الذى أقسمه أصحاب القمصان الزرقاء للنحاس فنرى فيه لوناً من الولاء الشخصى مما حول هؤلاء إلى « أداة لحكم الإرهاب بلا نزاع [٩٨] » .

بعد ذلك بأقل من شهر تضع نفس الصحيفة فى صـدرها صورة للنحاس باشا فى بنى سويف وقد التف حوله عدد من أصحاب القمصان الزرقاء يحملون المزاريق[٩٩] ، وتعلق على ذلك فى اليوم التالى بأن « القمصان الزرق أصبحوا أداة إرهاب مسلحة يستخدمها النحاس باشا ضـــد خصومه السياسيين»[١٠٠]، وبعد شهر آخر تتهم البلاغ أصحاب القمصان الزرقاء بمحاولة إرهاب النواب وتـكتب تقول « فرق القمصان الزرق يجب أن تحل فوراً بعد أن ترقت فى الاعتداء وطمعت فى إرهاب النواب[١٠١] .

تمثـل الشكل الآخر من أشكال الرد الملـكى فى استـكتاب عدد كبير من طلاب الجامعة ودار العلوم لعريضة رفعوها للملك فى ٢ سبتمبر يلتمسون منـه فيها « أن يجتث بحزمه وعزمه وحكمته جذور الفتنة ويحل القمصان الزرق[١٠٢] » ، كما قدم آخرون من الجامعة أيضاً بعد ذلك بنحو عشرة أيام عريضة مشابهة[١٠٣] .

وكانت آخر ردود الملك رفضه التوقيع على قانون بزيادة الاعتمادات المخصصة للمصاريف السرية على اعتبار أن القسم الأكبر من هذه المصاريف كان مقرراً أن ينفق على أصحاب القمصان الزرقاء[١٠٤] .

وتصل المواجهة إلى ذروتها عنـدما يطلب الملك من رئيس وزرائه حل جماعة القمصان الزرقاء وذلك فى لقائهما بقصر المنتزه فى ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧، وقد سلمه فى هذا اللقاء بحثاً قانونياً أشار فيه إلى أن وجود هذه الفرق ينافى

الدستور مستنداً فى ذلك إلى ما قرره مجلس العموم البريطانى وما فعلته الحكومة البريطانية فى القمصان السود التى حاوله المستر « أوسولد موزلى » أن ينشئها فى انجلترا(١٠٥) .

وبالرغم من كل ذلك فإن الزعامة الوفدية لم تستجب للطلب الملكى ، حقيقة حاولت أن تخفف من حدة الحملة ضد القمصان الزرقاء بإصدار أمر من رئيسها « محمد بلال » بمنع حمل السلاح من أى نوع كان « حتى لا ندع للخصوم مجالا لسوء تأويل حركاتنا البريئة(١٠٦) » إلا أن هذا ، يقيناً ، لم يكن ليكفى الملك أو خصوم الوفد .

وترتب على ذلك أن ظل « أصحاب القمصان الزرقاء » أحد مظاهر الخلاف الأساسية بين القصر والوفد ، ولقد كانت مسألتهم بالتالى من أهم الأسباب إن لم تكن السبب الأهم فى اتخاذ القصر لقراره بإقالة وزارة مصطفى النحاس الرابعة ، وكان أول قرار بالإقالة يصدر من الملك الجديد فى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ .

صحيح أن المرسوم بمنع تنظيمات القمصان الملونة لم يصدر إلا بعد ذلك بأكثر من شهرين فى ١١ مارس من العام التالى إلا أن الواقع يقرر أن القمصان الزرقاء قد اختفت مع إقالة الوزارة الوفدية أو ذابت مع ضياع السلطة من النحاس وهو ما كان عباس محمود العقاد قد تنبأ به من قبل ذلك بنحو سبعة شهور(١٠٨) .

حواشى البحث

(١) انظر مقال « حزبان صناعيان » (الاتحاد والشعب) محتوما المصير بزوال النظام الحاضر » كوكب الشرق فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢) F. O. 407/219/2 No. 35 Kelly to Eden Oct. 24, 1935 Desp. No. 1212.

(٣) الصرخة فى ٧ أكتوبر ١٩٣٣ .

(٤) الصرخة فى ١٠ فبراير ١٩٣٤ — مقال بقلم فتحى رضـــوان بعنوان « الهلال والصليب » .

(٥) حافظ محمود : أسرار الماضى من ١٩٠٧ إلى ١٩٥٢ فى السياسة والوطنية — كتاب روز اليوسف يوليو ١٩٧٣ ص ١٤٤ .

(٦) الصرخة فى ١٨ أغسطس ١٩٣٤ .

(٧) العدد السابق من نفس الجريدة .

(٨) فعلى امتداد أربعة أعداد من الصرخة (٢٥/٨/١٩٣٤ ، ٨/٩ ، ٢٩/٩ ، ٦/١٠/١٩٣٤) يكتب أحمد حسين أربعة مقالات تحت عنوان « أربعة أيام فى نابلى وفى روما — لقد خيبت إيطاليا حسن ظنى » ، ويهاجم فتحى رضوان إيطاليا أيضاً فى الصرخة فى ٦/١٠/١٩٣٤ تحت عنوان « يا إيطاليا . . يا إيطاليا » ويرى أنها تطمع فى مصر التى أخذت منها جغبوب وعالماً ضخماً من أراضى السودان ، كما يهاجم فى نفس الصحيفة فى ٢٠ من نفس الشهر « ألمانيا الهتلرية » و « إيطاليا الفاشية » فى مقال تحت عنوان « هذه هى حقيقتهم » .

(٩) مجموعة مضابط مجلس النواب — الهيئة النيابية السادسة — الانعقاد العادى الأول — المجلد الأول ٢٣ مايو ٣٦ — ٢٤ أغسطس ١٩٣٦ ص ٩٦ .

(١٠) F. O. 407 / 219 / I No. 133 Kelly to Eden June 23, 1936 Tel No. 587.

(١١) F. O. 407 / 219 / I No. 124 Lampson to Eden May 22, 1936 Tel No. 579. Conf.

(١٢) هارولد لاسكى : تأملات فى ثورة العصر ـــ ترجمة عبد الكريم أحمد ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(١٣) مع ما تشير إليه الوثائق البريطانية (مراسلة سرية رقم ٥٠٢ بتاريخ ٧ مايو ١٩٣٥ من لامبسون إلى سيمون) من قيام تحالف وثيق بين عباس حليم ومصر الفتاة ، فان الجريدة الناطقة بلسان الجماعة قد أكدت تماماً وبما لا يدع مجالا للشك وجود هذا التحالف ففى عدد الصرخة الصادر فى ١٠ / ١٢ / ١٩٣٤ صفحة كاملة تحت عنوان « الشريف عباس حليم ينشىء شركة للدخان فيحرر بذلك العمال المصريين ويبنى استقلال مصر » ، وفى عدد نفس الصحيفة الصادر فى ٢٤ من نفس الشهر نجد صورة الغلاف لعباس حليم بالإضافة إلى صفحة كاملة بعنوان « نصف ساعة مع زعيم العمال ـ صاحب الشرف الرفيع عباس حليم » وصورة غلاف أخرى للرجل بالعدد الصادر فى ١٩٣٤/٤/٤ بالإضافة إلى مزيد من التقريظ .

(١٤) الصرخة فى ١٩٣٤/١/٦ .

(١٥) F. O. 407 / 217 / 3 No. II Yencken to Simcn, June 19, 1934, Desp. No. 46.

(١٦) حافظ محمود : المصدر السابق ص ١٤٠ ـ ١٤٣ .

(١٧) F. O. 407 / 217 / 3 No. II Yencken to Simon Jan. 19, 1934. Desp. No. 56.

(١٨) F. O. 407 / 217 / 3 No. 34 Lampson to Simon April 25, 1934 Desp. No. 367.

(١٩) Ibid.

(٢٠) F. O. 407 / 218 / I No. 70 Lampson to Simon, April 26, 1935 Desp. No. 466 Conf.

(٢١) F. O. 407 / 217 / 2 No. 4I Sir P. Loraine to Simon Oct. 20, 1933. Desp. No. 296.

(٢٢) Ibid.

F. O. 407 / 219 / 2 Inc. In. No. 35. Memorandum (٢٣)
Respecting the Blueshirt Movement.

Ibid. (٢٤)

Ibid. (٢٥)

Ibid. (٢٦)

Ibid. (٢٧)

F. O. 407 / 217 / 3 No. 11 Yencken to Simon (٢٨)
Jan; 19, 1934 Desp. No. 46.

Ibid. (٢٩)

(٣٠) هما محمد على عرفة بكاية الحقوق ، ومحمد على المغلاوى بالتجارة العليا .

(٣١) الجهاد فى ١٠/١/١٩٣٤

(٣٢) الأهرام فى ١١/١/١٩٣٤ .

(٣٣) الجهاد فى ١١/١/١٩٣٤ .

(٣٤) الجهاد فى ١٢/١/١٩٣٤ .

F. O. 407 / 217 / 3 No. 1I Yencken to Simon (٣٥)
Jan. 19, 1934. Desp. No. 46.

F. O. 407 / 217 / 3 No. 34 Lampson to Simon, (٣٦)
April 25, 1934. Desp. No. 367.

(٣٧) الجهاد ١٥/١١/١٩٣٤ .

(٣٨) الصرخة ١٧/١١/١٩٣٤ .

F. O. 407 / 218 / 1 No. 70 Lampson to Simon, (٣٩)
April 26, 1935 Desp. No. 466 Conf.

F. O. 407 / 218 / 1 No. 88 Lampson to Simon, May 7, 1935 Desp. No. 502 Conf. (٤٠)

F. O. 407 / 218 / 1 Inc. in No. 82 Extracts from a Report on Further Recent Activities of the Young Egypt Society. (٤١)

F. O. 407 / 218 / 1 No. 70 Lampson to Simon, April 26, 1935 Desp No. 466 Conf. (٤٢)

Ibid. (٤٣)

F. O. 407 / 218 / 1 No. 88 Lampson to Simon, May 7, 1935 Desp. No. 502. Conf. (٤٤)

F. O. 407 / 218 / 1 Inc. No. 88 Extract from a Report on Further Recent Activities of the Young Egypt Society. (٤٥)

(٤٦) الصرخة فى ١٩٣٥/١/١٤ .

(٤٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

F. O. 407 / 219 / 1 No. 46 Lampson to Eden, Eeb. 2I, 1936 Desp. No. 218. (٤٨)

F. O. 407/219 /1 No. 94 Lampson to Eden, May 2, 1936 Desp. No. 491, (٤٩)

F. O. 407 / 219 / 1 No. 46 Lampson to Eden, Eeb. 21, 1936 Desp. No. 218. (٥٠)

F. O. 407 / 219 / 1 No. 94 Lampson to Edcn, May 2, 1936 Desp. No. 491. (٥١)

F. O. 407 / 219 / 1 No. 70 Lampson to Eden May, 2, 1936. (٥٢)

F. O. 407 / 219 / 1 No. 46 Lampson to Eden, Feb. 12, 1936 Desp. No. 213. (٥٣)

(٥٤) F. O. 407 / 219 / 1 No. 124 Lampson to Eden, May 22, 1936 Desp. No. 570 Conf,

(٥٥) Ibid.

٥٦ Ibid.

(٥٧) مجموعة مضابط مجلس النواب — الهيئة النيابية السادسة ـ الانعقاد العادى الأول ـ المجلد الرابع ص ٩٦ .

(٥٨) F. O. 407 / 219 / 1 No. 133 Kelly to Eden, June 23, Tel. No. 587.

(٥٩) Ibid.

(٦٠) F. O. 407 / 219/1 No. 124 Lampson to Eden, May 22, 1936 Desp. No. 579 Conf.

(٦١) عبد العزيز الصوفانى ، وفكرى أباظة .

(٦٢) مجموعة مضابط مجلس النواب — المجلد السابع ص ٩٦ .

(٦٣) F. O, 407 / 219 / 1 No. 136 Kely to Eden, June 27, 1936 Tel. No. 604.

(٦٤) F. O. 407 / 219 / 1 Lampson to Eden July 9, 1936 Tel. No. 66.

(٦٥) F. O. 407 / 219 / 1 No. 35 Kelly to Eden, Oct. 24, 1936 Desp. No. 1212.

(٦٦) F. O. 407 / 219 / 2 No. 31 Kelly to Eden, Oct. 16; 1936 Desp. No. 1193 Secret.

(٦٧) Ibid.

(٦٨) F. O. 407 / 219 / 2 No. 35 Kelly to Eden, Oct. 24, 1936 Desp. No. 1212.

(٦٩) F. O. 407 / /219 / 2 No. 31 Kelly to Eden, Oct. 16, 1936 Desp. No. 1193 Secret.

F. O. 407 / 219 / 2 No. 31 Kelly to Eden Oct. 24' 1936 Desp. No. 1212. (٧٠)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 42 Lampson to Eden Nov. 9, 1936 Tel. No. 114. (٧١)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 35 Kelly to Eden, Oct. 24, 1936 Desp. No. 1212. (٧٢)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 39 Eden to Lampson Nov. 10, 1936 Desp. No. 1062. (٧٣)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 48 Lampson to Eden Nov. 26 1936 Tel. No. 123. (٧٤)

(٧٥) البلاغ فى ١٧/٥/١٩٣٧ ٠

F. O. 407 / 219 / 2 No. 55 Lampson to Eden Dec. 10, 1936.Desp. No. 1221. (٧٦)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 59 Eden to Lampson Dec. 23, 1936 Desp. 1221. (٧٧)

F. O. 407 / 221 / 1 No. 36 Lampson to Eden, Jan. 9, 1937 Desp. No. 32. (٧٨)

F. O. 407 / 219 / 2 No. 55 Lampson to Eden Dec. 10, 1938 Des . No. 1364. (٧٩)

(٨٠) البلاغ فى ١٧ ، ١٨ مايو ١٩٣٧ ٠

(٨١) هى أسرة العلايلى ٠

(٨٢) البلاغ فى ٢٢ مايو ١٩٣٧ ٠

(٨٣) البلاغ فى ١٨/٥/١٩٣٧ ٠

(٨٤) البلاغ فى ١٩/٥/١٩٣٧ ٠

(٨٥) البلاغ فى ٢٤/٥/١٩٣٧ ٠

(٨٦) الأهرام فى ٣٠ / ٥ / ١٩٣٧ نص البلاغ الصادر من مصلحة الصحافة والنشر والثقافة ٠

(٨٧) الجهاد فى ١٣/٧/١٩٣٧ ٠

(٨٨) F. O, 407 / 221 / 2 No. 101 Lampson to Eden July I5, 1937 Desp. No. 864.

(٨٩) البلاغ فى ٣١ يولية ١٩٣٧ ٠

(٩٠) البلاغ فى ٣ أغسطس ١٩٣٧ ٠

(٩١) انظر البلاغ فى ١، ٢، ٣ أغسطس ١٩٣٧ ٠

(٩٢) الجهاد فى ٢٠/٨/١٩٣٧ ٠

(٩٣) F. O. 407 / 221 / 2 Enc. In. No. 104.

Miralai Fitzpatrick Bey's Blueshirt Report-Secret.

(٩٤) Ibid.

(٩٥) نص البيان فى البلاغ — ٧ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

(٩٦) مجموعة مضابط مجلس النواب — المرجع السابق ٠

(٩٧) المرجع السابق ٠

(٩٨) البلاغ فى ٢١ أغسطس ١٩٣٧ ٠

(٩٩) البلاغ فى ١٨ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٠) البلاغ فى ١٩ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠١) البلاغ فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٢) البلاغ فى ٢ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٣) البلاغ فى ١١ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٤) د ٠ محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٨٠ ٠

(١٠٥) البلاغ فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٦) المصرى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

(١٠٧) الوقائع المصرية فى ١١ مارس ١٩٣٨ ٠

(١٠٨) كان العقاد قد انشق عن الوفد خلال النصف الأول من عام ١٩٣٧ وترك التحرير فى صحيفة الجهاد الوفدية ليصبح أبرز محررى صحيفة البلاغ ٠

مصادر البحث

أولا : وثائق غير منشورة :

مجلدات وزارة الخارجية البريطانية الخاصة بمصر والمصورة على ميكروفيلم من « دار الوثائق العامة بلندن Public Record Office ».

وقد تمت الاستعانة بالمجلدات الآتية تبعاً لترتيبها الزمنى :

No	Date
407/217/2	July – December 1933
407/217/3	January – June 1934
407/218/1	January – December 1935
407/219/1 & 2	January – December 1936
407/221/2	July – December 1937

ثانياً : وثائق منشورة :

مجموعة مضابط مجلس النواب المصرى ١٩٣٦ – ١٩٣٧ .

ثالثاً : دوريات :

– الصرخة ١٩٣٣ – ١٩٣٤ .

– كوكب الشرق ١٩٣٤ .

– المصور ١٩٣٤ .

– الجهاد ١٩٣٤ ، ١٩٣٧ .

ـ الأهرام ١٩٣٤ ، ١٩٣٧ .

ـ البـــلاغ ١٩٣٧ .

ـ المصرى ١٩٣٧ .

ـ الوقائع المصرية ١٩٣٨ .

رابعاً : مراجع متنوعة :

ـ حافظ محمود : أسرار الماضى من ١٩٠٧ إلى ١٩٠٢ فى السياسة والوطنية
كتاب روز اليوسف ـ يوليو ١٩٧٣

ـ هارولد لاسكى : تأملات فى ثورات العصر
ترجمة : عبد الكريم أحمد ـ مراجعة : عبد المعز نصر

ـ محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية (جزءان)
القاهرة ١٩٥١